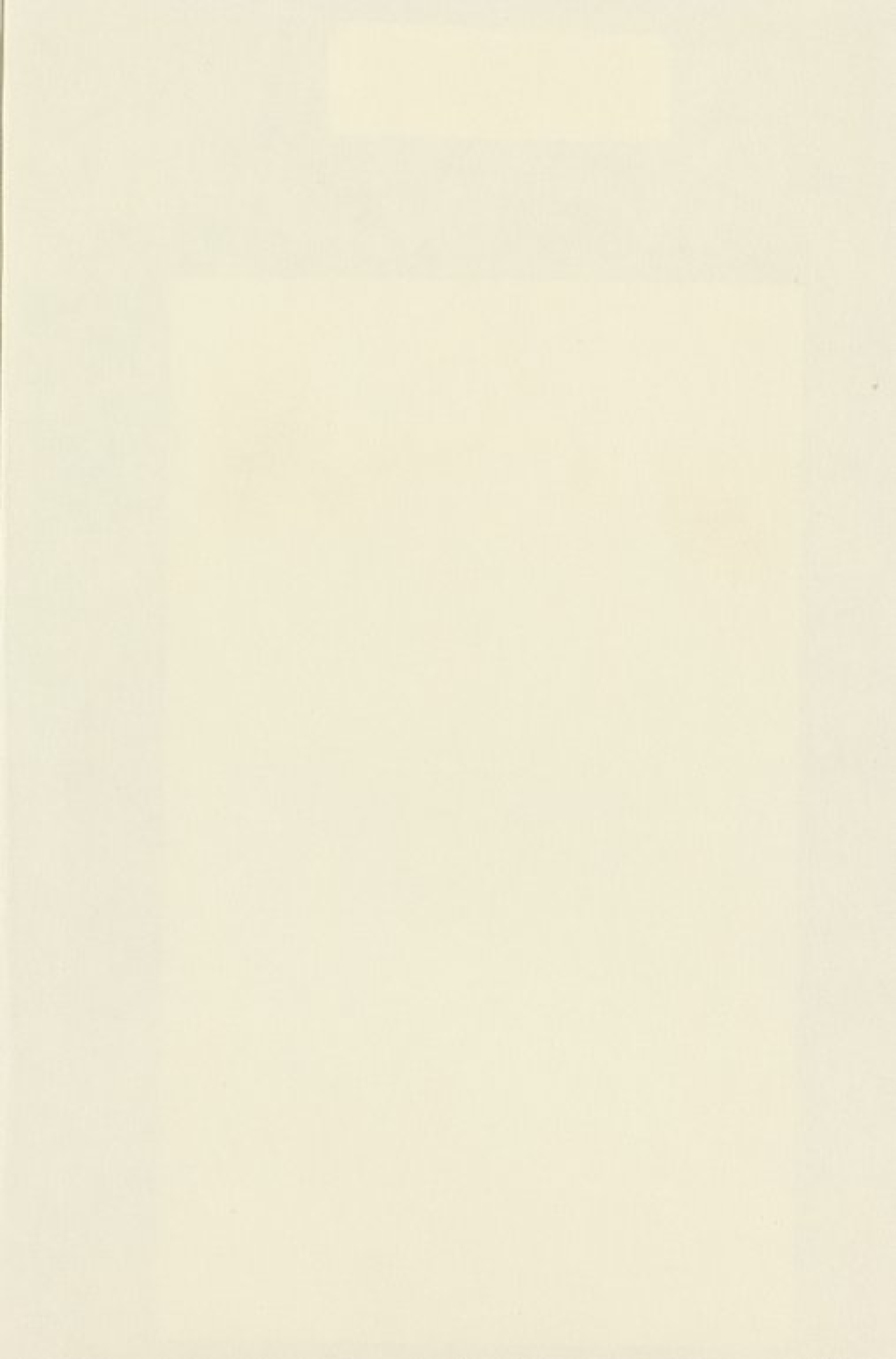

Princeton University Library
32101 065582148



محمد رضا شمس الدين

حديث الجامعة النجفية

تأريخ وتحليل



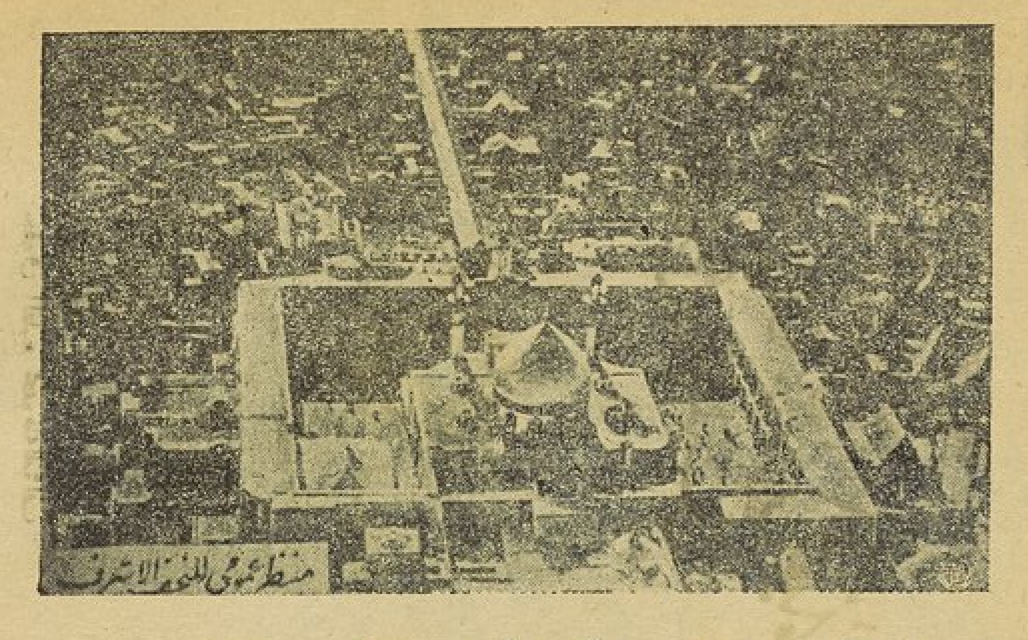
الحلقة الأولى

حديث الجامعة النجفية
تاريخ وتحليل

تأليف العلامة الشيخ :

محمد رضا شمس الدين

١٣٧٣ هـ - المطبعة العلمية - النجف - العراق - ١٩٥٣ م



منظر عمومي لمدينة النجف الأشرف أخذت من الجو . وفي اللوحة تبدو
المئذنتان الذهبيتان والقبة الشريفة على جدث الامام علي (ع)



إهداء الكتاب

سيدي وصي الرسول الأعظم :

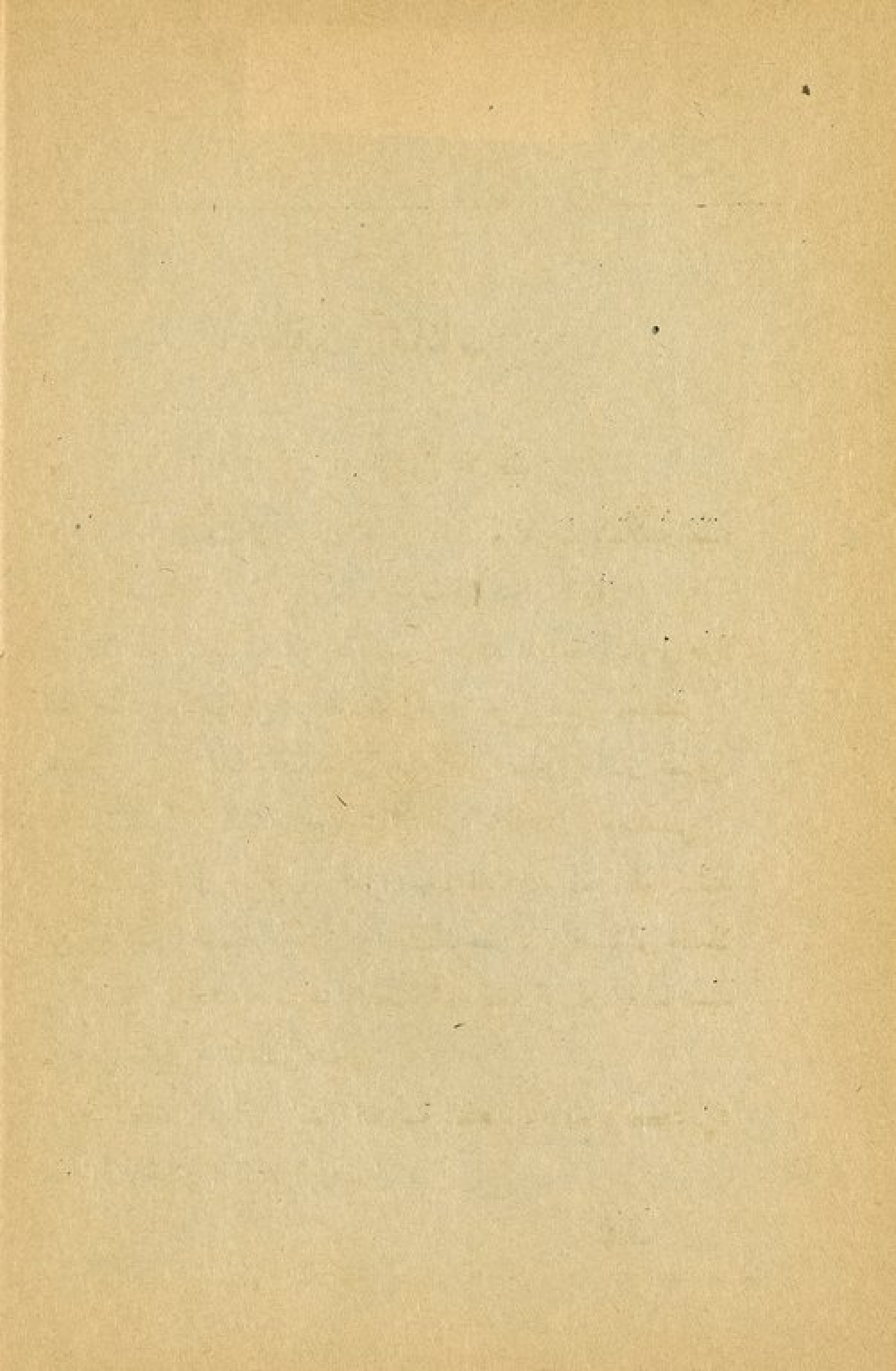
هذه . جامعتك الكبرى ! فى العلوم الدينية . والمعارف الاسلامية العلياء التي وضعت الحجر الاساسي لها . وبذرت فيها النواة الأولى .

وهؤلاء وكلاؤك . وسفراؤك والممثلون عنك، قد أحاطوا حوالي قبرك الشريف ، ليرتشفوا من بحر علومك وينتهلوا من فيض معارفك . ثم يفيضوا به إلى مواليك ومحبيك ، فى جميع أقطار المسلمين ، الذين ينظرون اليهم . كما ينظرون اليك . بعين ملئها التعظيم . والاجلال . والتقديس ! .

فأنت ـ سيدي ومولاي ـ أحرى بهذه الهدية المتواضعة ، لهذا استمد من روحانيتكم القدسية الاجازة . وأطلب الرخصة لان أقدمها إلى حفيدك ووكيلك . «وعميد» جامعتك الاعظم الامام الفقيه الاكبر آية الله السيد « محسن الحكيم » الطبطبائى النجفي .

فالى شخصيته العلمية . ونفسيته القدسية الطاهرة ، أرفع « كتابي » هذا . وغاية أملي « الرضا » والقبول .

المؤلف



فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وآله البررة الميامين وصحبه المنتجبين

* * *

قارئي المحترم :

هذه دراسة عن جامعة . لابد أن تكون لها صلة بعلمك وثقافتك . أو لغتك ودمك. أو دينك ومبدئك ، فاحرص أن تعرف تلك الصلة . بهذه الدراسة لهذه الجامعة الكبرى ! دراسة عن جامعة ، كنا نتحاشى تسميتها جامعة - بالمعنى الحديث - لانها حرمت من المظاهر الشكلية . وأنسجة الانظمة - الموجودة فى مدارس العصر - ، ولأنها حرمت من الظهور . والدعاية لها .و . و . الخ .

دراسة ، يهمنا الاطلاع عليها علمياً . وثقافياً ، بقـــدر ما يهم المسلمين الوقوف عليها سياسياً ودينياً . لمن يهمه دراسة الشرق والاسلام على ضوء التعارف والتواصل . والاتحاد والتقدم .

دراسة ، لم أحاول فيها إرضاء طبقة خاصة من الناس أو شعب خاص أكثر من إهتمامي لاطلاع القريب والبعيد عليها ، بما فيها ، علنا نستفيد

من ذلك بما فيه خدمة الانسانية والاسلام .

دراسة ، تهمني . وتهم كل « طالب نجفي » تغذى من ثدييها فيما تغذى : من أنواع العلم وفنون الأدب . فكان لزاماً عليه أن يتوجه إليها بقلبه . وعينه وقلمه .

هذه احدى تلك الدوافع والمحفزات الكثيرة التي جعلتني اقدم على هذه الدراسة وأشرع في هذا الحديث الذي نحن اليوم في أشد الحاجة إليه والى أمثاله .

وهذه الدراسة أو هذا الحديث وإن طرق بابه وكتب فيه ، لكن بشكل آخر وبكتابة تغاير ما في هذه الفصول ، وحديث يخالف هـذا الحديث ، من حيث الهدف والمرمى . و . و الخ . على أن الموضوع رحب يسع لكتب ومجلدات كبيرة ، وأن يحرر فيه أي كاتب ، ويتحدث عنه أي عالم ، بما يريد ، ثم لا يكف لسعة الموضوع وأهميته وجلالته وقدسيته ولاقبال الناس عليه للاستماع اليه والاستفادة منه فوائد كثيرة دينية وسياسية واجتماعية.

قارئي الكريم :

الحديث عن النجف : حديث ممتع ومشوق يهوى اليه كل مثقف وأديب وعالم ومتعلم ومؤمن متدين وعربي مسلم .

الحديث عن النجف : حديث عن اكبر معهد اسلامي جليل وعن « أكاديمية » دينية كبرى وجامعة علمية واسعة !! .

الحديث عن النجف : حديث عن الايمان الصادق والاسلام الحنيف . والعلم الديني المفيد : « يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون » .

الحديث عن النجف : حديث عن مدينة لا تتجاوز نفوسها المائة الفا بينما يحسبها البعيد النائي قطراً برأسه ودولة مستقلة .

نعم هو قطر برأسه ومدينة خاصة تختلف عن بقية المدن العراقية ، وغيرها في جوها الديني ومجالسها الروحية وزيها الاسلامي والعربي القديم و .. و الخ .

هذه المدينة المقـــدسة ، ليس فيها شيء من الملاهي ، ولا غيرها مما ينعش البطالة ويزيد عدد البطالين .

هذه المدينة المنورة هي في العراق « كالأزهر » في مصر ، وهي عند المسلمين « كالفاتيكان » بايطاليا عند المسيحيين .

هذه المدينة المباركة، يؤمها في اغلب أيام السنة ألوف من المسلمين من اماكن بعيدة وقريبة لزيارة قبر الامام (ع) .

هذه المدينة العظيمة ، التي عناها أمين الريحاني المسيحي - اللبناني المشهور - بقوله: عندما تساءل عن أعظم مدينة في العالم ، لا في زخارف بنائها وجمال قصورها، بل في رجالها الذين هم أمثال الامام علي (ع) وعنى بها النجف الاشرف .

هذه المدينة المكرمة ، لم تزل ولا تزال مقر الدار الكبرى للافتاء والتقليد ومركز المجلس الأعلى للمراجع العظام والمجتهدين الكبار والعلماء المؤلفين! .

هذه المدينة الشريفة ، أصبحت جامعة علمية منذ قرون عديدة يفد إليها الطلاب من جميع أقطار المسلمين لدراسة العلوم الدينية والمعارف الاسلامية ويتخرج منها في كل عام مئات من العلماء والمجتهدين ، والمبشرين والمرشدين في الاقطار والمدن والارياف .

عن هذه المدينة الجامعة - التي عرفت ناحية منها - في هذه الافتتاحية - دراستنا وحديثنا في هذا (الكتاب).

قارئي العزيز :

والحديث عن هذه (المدينة الجامعة) حديثان :

حديث من حيث هي جامعة علمية . ومعهد ديني: يتناول تأسيس الجامعة النجفية، وأدوارها العلمية والحركة الدراسية ، وكتب الدراسة وطريقتها ونظامها ، إلى غير ذلك مما يتعلق بحديث جامعة النجف او (النجف الجامعة).

وحديث آخر من حيث هي مدينة، يتناول تأريخها وجغرافيتها وحوادثها الى غير ذلك مما يحوم حول الحديث عن مدينة النجف أو (النجف المدينة)

والذي يهم بروايته هذا (الكتاب) ويتعرض له، هو الحديث الاول عن النجف الجامعة او (الجامعة النجفية) .

وبكلمة صغيرة ، هو حديث عن حياة النجف العلمية والدينية والثقافية مع ما يضم هذا الحديث من (التأريخ والتحليل) والتعريف والتوجيه ، وما يتصل به من تأييد الدين وإعزاز الاسلام ، وعلى الله التوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

نزيل النجف الأشرف   محمد رضا شمس الدين العاملي

الفصل الأول

تأسيس الجامعة النجفية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) مدخل البحث

يحسن بنا قبل الشروع في حديث النجف اليوم وحياتها العلمية الدينية والثقافية . ان نتطلع من شرفة التاريخ على ماضي النجف للتعرف على مؤسس جامعتها العلميه . واول واضع لحجرها الاساسي — في معنى من معاني الجامعة ، او فى معناها البسيط —

وهذه ناحية مهمة . لها صلة بحاضرنا وبالنجف اليوم . صلة قويه يتكفل ببيانها هذا الأفتتاح ..

ومن دواعي الأسف ان اهمل البحث عنها علمائنا القدماء وطلاب النجف امس . كما اهملوا غيرها مما يتعلق بأمهم الحنون التي غذتهم العلم والدين والأدب ..

وجماعـــة من العلماء المتأخرين اراه — سوف نذكرها — (١)

---

(١) ذهب جمع من العلماء منهم السيد الصدر العاملي . وشيخنا آغا بزرك ومؤلف ماضي النجف . الى ان مؤسس الجامعة النجفية هو الحبر الكبير الشيخ الطوسي . وارجع بعض تأسيسها الى الامام الشيخ المفيد واحتمل ثالث على انها أسست على عهد الصفويين فى العراق .

وما ذهبنا اليه هو المصحح عند كل من اطلع عليه مضافاً الى الحجج والتقريبات التي ذكرناها فى الأصل.

تخالف ما نذهب اليهِ من ارجاع تأسيس الجامعة النجفية الى عهد الأمام علي (ع) الذي هو اول من شيد ركنها الأساسي . ووضع حجرها الذهبي .

وستأتي حجة هذا الرأي والدليل عليه . وتفنيد الرأي الآخر والرد عليه .

(٢) وحدة النجف والكوفة

ومن الادلة التي اقمناها على هذا الرأي — من جملة ادلة كثيرة ذكرناها في سياق هذا الحديث — ما يدل من التاريخ والحديث على وحدة النجف والكوفة — والذي يوهم الفرق استقلال كل منهما بتاريخ واسم خاص — اذ الكوفة لم تزل عامرة حتى القرن الثامن الهجري اي بعد اتصال الكوفة بالنجف « والنجف بالكوفة » وقبل ان تبدء الأولى بالتقهقر العمراني والخراب. والثانية بالتقدم والعمران(١)

ومن كلمات المؤرخين قولهم : ان الجامع الشريف كان في قلب مدينة الكوفة ،وعليه فتدخل النجف فيها لقربها منها اذا اضفنا الى ذلك سعة الكوفة وكبرها في ذلك العصر (٢) .

وجاء في التاريخ وفي كثرة من الاحاديث بالنسبة لتعيين قبر الامام علي (ع) انه بالكوفة (٣)

---

(١) نص عبارة المؤرخ البراقي في تاريخه للكوفة ص ٤٥٦

(٢) راجع فصل حدود الكوفة وتخطيطها ص ١١٠ و١١١ من تاريخ الكوفة

(٣) من تلك الاحاديث ما روى ص ١٩ من كتاب (فرحة الغري)

الى غير هذا وذاك مما يستدل به على الوحدة بين المدينتين (النجف والكوفة) وان لافرق بين هذه وتلك — الا بالاسم — وان الكوفة ما بدأت بالتقهقر والنجف بالتقدم · الا بعد ان اتصلتا وكلفت الأولى الثانية برعاية المدرسة الدينية وحفظ حوزتها العلمية . التي بذر نواتها الأمام علي بن ابي طالب (ع)

وربما استدل ايضا — على الوحدة المدعاة — بالخرائط القديمة للكوفة . كالخارطة التى وضعها المستشرق الأفرنسي المعروف المسيو (ماسنيون) عن الكوفة في القرن الثاني الهجري (١)

ورغم الأميال التى تفرق بين النجف والكوفة اليوم لا تهدد وحدتها بل هي على شرفة الزوال ايضا ..

(٣) علوم وفنون

واحسب ان هذا الدليل — او هذا التقريب — وحده غير كاف فى اثبات ما ندعيه الا اذا اضفنا الى ذلك لمحتين — تتميما للبحث — لمحة تبين المدى البعيد الذي وصلت اليه العلوم الاسلامية والفنون

- في باب تعيين قبر علي ع انه سأل النبي (ص) يارسول الله قال أأقبر بكوفان العراق؟ فقال نعم .

(١) الاستاذ (ماسنيون) الذي زار جزيرة العرب وبلاد المسلمين وتعرف على اهلها و كتب عنها مقالات ومؤلفات منها تاريخ الكوفة ومن اظرف ارائه المضحكة قوله (ان قبر الامام علي * ع * في الهند) وقد تصدت الصحف الاسلامية لرده في وقته ، وخارطته التي اشرنا اليها منشورة فى مقدمة تاريخ الكوفة للبراقي .

العربية في الكوفة .

ونحة اخرى تبين الأثر الكبير الذي تركه الأمام علي « ع » وخلفه الأئمة « ع » في الكوفة من المحبين والموالين والتلاميذ والعلماء والفنون والعلوم.

اما الأولى فبعد ان استقر المسلمون في الكوفة ولا سيما في العصر الاموي اشتهرت بالعلوم الأسلامية من الحديث والفقه والتفسير والفنون العربية من العروض والصرف والنحو الذي اسسه الأمام علي « ع »(١)

وكانت الكوفة في ذلك العصر موئل العلم والأدب . وملتقى العلماء والشعراء والأدباء . كانوا يزدحمون في المساجد والنوادي والبيوت وكان فيها حلقات للمناشدة والمفاخرة ومجالس للمذاكرة والمناقشة هي كسوق « عكاظ » في الجاهلية . حتى اخرجت مئآت من النحويين واللغويين والمحدثين والمفسرين والادباء والشعراء الشهيرين « ٢ »

ومن لم يسمع بابي الطيب المتنبي ودعبل الخزاعي والأصمعي والخليل

---

(١) يكاد الاجماع يغلق باب الريب في نسبة تأسيس علم النحو الى علي امير المؤمنين * ع * وممن نقل ذلك من المؤرخين الكبار ابن حجر في الاصابة وابن قتيبة في المعارف والازهري في تهذيب اللغة وابن سيده في المحكم وابن خلكان في الوفيات الى كثير غيرهم . وبعد هذا لا ينبغي ان نعير اسماعنا الى كلام ينبعث عن مصر في ابداء الريب والتشكك في صدق هذه النسبة الى الامام * ع *

« ٢ » ولعل كثرة هذه المجالس الادبية في الكوفة وانكباب اهلها عليها من جملة العوامل الكبرى لاخفاق جيش الامام علي * ع * في صفين -

بن احمد والكميت بن زيد الأسدي والكسائي وجابر بن حيان الذي يقول عنه الأستاذ « بزتيلو » الفرنسي صاحب كتاب « تاريخ الكمياء في القرون الوسطى » ان اسمه ينزل في تاريخ الكمياء بمنزلة اسم ارسططاليس في تاريخ المنطق » .

ولهذا العالم المفكر « ابن حيان » مؤلفات كثيرة منها « رسائل جعفر الصادق » في خمسمائة رسالة طبعت في اوربا . وفيهـــا صرح بتلمذته على الامام الصادق « ع » واخذ الكمياء عنه وفي ذلك يقول بعضهم :

حكمة اورثناها جابر عن امام صادق القول وفي
لوصي طاب في تربته فهو كالمسك تراب (النجف)

مدرسة علوية (٤)

والناحية الاخرى التى لمحنا اليها تكميلا للتقريب السابق وتمهيدا للبحث الآتي هي ان الكوفة كانت على الرغم من اختلاف نزعاتــها وكثرة احزابها معروفة بالعلوية والتشيع — حتى اذا اراد احد ان

ـ وقد شعر الامام « ع » بهذا لذلك راح مقرعا اصحابه في احدى خطبه البليغه قائلا « تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقا عزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار تربت ايديكم نسيتم الحرب واستعدادها واصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها »

وقال ايضا « لوددت ان معاوية صارفني فيكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ منكم عشرة واعطاني رجلا منهم »

يقول انه شيعي قال كوفي كما قال ابو تمام الذي ولد بالشام المعروفة في ذلك الوقت بالأمويه ومع ذلك فهو كوفي مذهبا وهذا معنى قوله :

و كوفي ديني على ان منصبي   شآم ونجري أية ذكر النجر

وقد دخلها الأمام علي (ع) بعد وقعة الجمل ونزل اول ما نزل — في جامع الكوفة - لا في القصور كغيره من الولاة — فأخذه مصلى له ومعبدا ومدرسة يدرس ويخطب ويقضي فيه بين الناس

وقد تخرج من هذه « المدرسة العلوية » الكبرى امثال ابي الأسود الدؤلي وعبد الله بن عباس « حبر الأمة » الذي يقول عن استاذه « بقيت ليلة كاملة مع ابي الحسن علي « ع » وهو يشرح لي « بسم الله الرحمن الرحيم ».

وقد قام بعد علي اميرالمؤمنين « ع » في التعهد بمدرسته العلوية اولاده واحفاده « ع » حتى جاء دور الأمام الصادق « ع » - الذي كان في ايام ابي العباس السفاح - وقد فسح له الزمان فرصة استطاع فيها ان يدرس ويحاضر ويفيد اكثر من غيره من الأئمه « ع »

وعلى قلة استيطان الأمام الصادق « ع » بالكوفة فقد تخرج عليه علماء كثيرون . حتى الف الحافظ ابو العباس بن عقده الهمداني الكوفي كتابا في اسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام الصادق « ع » فذكر ترجمة اربعة آلاف شيخ.

ويقول الحسن بن علي الوشا البجلي [اني ادركت في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر ابن محمد الصادق [ع] .

والنتيجة من هذا النقل او صلته بهذا البحث يتضح في اللائحة التالية

(٥) تلامذة ومواليه

واذا عرفنا من اللمحة الأولى « علوم وفنون » سعة العلوم الأسلامية « فى الكوفة » وشهرتها بالفنون الأدبية استنتجنا منه « او اتضح منه » ما قلناه قبل عن جامعة الكوفة ومدرستها العلمية والأدبيه - التى خلفتها النجف الأشرف فى ذلك - وهي وان لم تكن كمدارس هذا العصر او جامعاته لكنها متحدة معها في الروح او الأثر.

ويتضح لنا من اللمحة الثانية « مدرسة علوية » الوقوف على طريق ذي شعبتين كل منها توصلنا الى الهدف الذي نحوم حوله وما نحن بصدده .

شعبة توقفنا على القول بان الكوفة مركز تلامذة علي « ع » ومقر تلامذة أولاده وأحفاده .. وهذا القول الذي نحصل منه ان هؤلاء التلاميذ لابد أنهم كانوا يترددون على قبر علي « ع » بعد وفاته ويبقون عنده اياما وليالي يدرسون ويتذاكرون — كما كان تلامذة ارسطو ياتون قبره بعد وفاته يتذاكرون ويدرسون عنده . لان قبره يبعثهم على الجد والنشاط فكأنما هو بينهم والى جنبهم — كما يدل على هذا احاديث . ياتي بعضها فى محله.

والشعبة الاخرى — التي يتضمنها الموضوع السابق « مدرسة علوية » التي تعطينا ان الكوفة كانت عاصمة شيعة علي « ع » ومركز محبيه

ومواليه فلابد ان هؤلاء الذين والوه واحاطوا به في حياته ان يثبتوا على الولاء ويحيطوا بقبره بعد وفاته حبا به وخوفا عليه من النبش والتمثيل به من قبل الاعداء وخشية عليه من الضياع ايضا

فيبعد ان يترك الائمه « ع » ويدع المحبون لعلي « ع » من الصحابة والتابعين قبر ابن عم الرسول « ص » في ارض بغير مجاور له ولا محافظ عليه مهما بلغت السياسه من الضغط والشدة على انه في محيط هو اليه . وبين قوم عرفوا بالتشيع والحب له . وكان فيهم الامراء وذوو السلطة القوية

فيتضح من الشعبة الاولى قدم الدراسة فى النجف ومن الشعبة الثانية قدم المجاورة فيها التي صاحبتها الدراسة العلمية

(٦) البناية الاولى

واذا كانت البناية الاولى على القبر هي السبب الاول في جـذب الناس اليه والداعي لمجاورة العلماء له ـ وانها النواة الاولى لايجاد روح علميه ـ حبا بالشخصية الاسلامية الدفينة هناك . فباستطاعتنا ان نثبت من التاريخ ان بناية الرشيد « في سنة ١٨٠ هـ » ليست الاولى « كما يظهر من كلام الاستاذ « ١ » الدخيلي نقلا عن « نزهة القلوب » بل كان قبلها بنايات عديدة « ٢ » كما حدثنا التاريخ عن بناية داود

« ١ » فى مقال له عن جامع النجف نشر في مجلة الرسالة المصرية س ٦ فراجع

« ٢ » راجع فصل عمارات القبر من كتاب مدينة النجف (ج ١)

بن علي المتوفى سنة « ١٣٣ هـ » وحدثنا في رواية عن صفوان قال قلت للإمام الصادق « ع » « يا سيدي أتأذن لي؟ أن أخبر أصحابنا من أهل الكوفة به فقال نعم. فأعطاني الدراهم وأصلحت القبر » . وكانت هذه قبل عهد الرشيد بزمان .

ومما يدل على أن الدراسة كانت مصاحبة للمجاورة ما حدثنا به التاريخ أن محمد بن زيد العلوي الداعي الصغير — صاحب طبرستان المتوفى ٢٨٧ هـ — بنى — في النجف الأشرف — قبة وحائطا وحصنا فيه سبعون طاقا .

فهذه الأطاقات في هذه البنية هي كالزوايا في البناية الاولى التي انشئت بعدها على عهد البويهيين — كما عبر عنها ابن بطوطة — ، وهذه الزوايا . وتلك الاطاقات . هي كالغرف والأواوين الموجودة اليوم التي هي كمدرسة تصلح لسكنى الطلاب ومركز دراستهم .

ولعل البنايتين المتقدمتين ، كانتا كهذه وتلك ذات أطاقات وزوايا أو أواوين ، وغرف — كما تسمى اليوم — .

(٧) النقابة النجفية

واذا كانت النقابة المعروفة في نظام الدول الأسلامية أمس . من دعائمها وشروطها العلم واقامة الحدود . والحكم بين العلويين وحل خصوماتهم والدفاع عنهم . فان النجف الأشرف أخذت حظا وافراً من هذه النقابة ورآستها الجليلة ومنصبها السامي العظيم .

كما حدثنا التاريخ الأسلامي بذلك عن رجال كثيرين « تولوا النقابة في النجف » امثال شمس الدين ابو القاسم وناصر الدين مطهر

بن رضي الدين محمد الحسن والسيد شريف الدين محمد المعروف بابن السدرة الذي سافر الى النجف سنة ٣٠٨ هـ حتى توفي فيها .

الى غير هؤلاء من النقباء الطالبيين والعلماء العلويين الذين تولوا نقابة الأشراف في النجف الأشرف منذ القرن الأول ، أو الثاني للهجرة حتى آخر عهد للنقابة (١) .

وهذا البحث التأريخي فيه دلالة على قدم مجاورة العلويين لقبر الامام علي (ع) مضافاً الى قدم العلم والعلماء في النجف الأشرف .

(٨) شاعر قديم يقول

ومما يدل على قدم العلم والعلماء . وقدم مجاورتهم . وسكنى العلويين لقبر الأمام علي (ع) قول شاعر قديم يعرف بابي عبد الله الحسيني البغدادي الشيعي المشهور بابن الحجاج — الذي كان في عصر السيدين (الرضى والمرتضى) والمتوفى سنة ٣٩١ هـ — حيث يقول : (عند مازار النجف) من قصيدة مطلعها : (٢)

يا صاحب القبة البيضا على (النجف) من زار قبرك واستشفى لديك شفي

الى أن يقول : — وفيه الشاهد —

وقل سلام من الله السلام على أهل السلام وأهل العلم والشرف

وأهل السلام (في البيت) بمعنى أهل وادي السلام ، وهم الأموات في

---

(١) راجع تأريخ الكوفة للبراقي النجفي فصل (نقباء الاشراف في الكوفة) ص ١٩٩

(٢) راجع القصيدة وترجمة صاحبها في الكنى والالقاب ج ١ – ص ٢٤٦

مقبرة النجف الكبرى — التي تعد أول مقبرة اسلامية . وثاني مقبرة في العالم . اذا عدت مقبرة (الفاتيكان) بايطاليا الأولى —

وأهل العلم والشرف الذين عناهم الشاعر هم العلماء المجاورون لقبر الأمام (ع) . الذين ليس لهم غرض من تلك المجاورة الا العلم والدين كا كثر سكان النجف والمجاورين لها اليوم .

(٩) كلمات لمؤرخيه

وهذه كلمات المؤرخين تشهد على سبق العلم وقدم الدراسة وسكنى العلماء ومجاورة العلويين فى النجف الأشرف أمس .

فهذا « ابن الأثير » يحدثنا في تاريخه أن دراسة العلم فى النجف بدأت منذ القرن الثالث الهجري ، وبلغت أوج عظمتها فى عهد عضد الدولة أحد الملوك البويهيين حيث اطاق الصلات لأهل العلم ورجال الدين المقيمين في الغري وغيرهم من ذوي الفاقة (١) .

وهذا « ابن طاووس » يروى لنا فى فرحته عن يحي بن عليان الخازن بالقبر الكريم أنه وجد بخط ابن البرسي المجاور بمشهد الغري على ظهر كتاب بخطه . قال توجه عضد الدولة عام ٣٧١هـ الى المشهد الشريف الغروى . وزار الحرم المقدس . فكان مما فرقه على العلويين الفوسبعمائة درهم لكل فرد منهم احد وعشرين درهما — وعلى المجاورين خمسمائة الف درهم . وعلى المترددين مثلها . وعلى الناحة — الذين ينوحون

---

(١) تاريخ أبن الاثير ج ٨ ص ٣٣٤

على الحسين « ع » — الف درهم . وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة الاف درهم(١)

وربما يقال ان من هذه الكمية المالية الأخيره للفقهاء ثلاثة الاف درهم التي تقابل كمية وافرة بالدينار العراقى — نعرف كميه العلماء أو كثرة الفقهاء الموجودين في النجف الأشرف حوالي هذا التاريخ ٣٧١ هـ

ومن وجودهم حوالي هذا التاريخ نعرف ايضا أنهم سبقوه بمدة طويلة إذ يبعد عادة مجيئهم دفعة واحدة بل كان ذلك بالتسلسل والتدريج

وهذه الكلمات . وغيرها من عبارات المؤرخين توضح لنا الفكرة التي نحوم حولها . وتوقفنا على الحقيقة التي فتشنا عنها التي اهتدى اليها قوم . وضل عنها آخرون .

(١٠) رأى فى الموضوع

ومع كل هذه الأدلة — أو هذه الصفحات البيضاء التى تبرز لنا فكرة نراها بجميع حواسنا مع هذا — نرى هناك من المؤرخين من يصر على ارجاع تأسيس الجامعة النجفية الى الامام الحبر الشيخ الطوسي المتوفى ٤٦١ هـ . نظراً الى أنه لم يعرف أحد من العلماء الكبار ممن تخرج من النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها — بمعنى من التخرج —

وعلى فرض وجود فرد أو أفراد . فهؤلاء لم يكونوا الا روات تلقوا الدراسة في النجف على الطريقة المعروفة قديما . وهو مجرد حفظ الأخبار . وروايتها — وما يناسب ذلك — ولا يطلق باصطلاح اليوم

(١) ابن طاووس فى فرحة الغري ص ١١٤

على مثل هذا أنه علم ولا أن رجاله علماء بخلاف طريقة الشيخ الطوسي التي هي طريقة الأصوليين والدراسة في النجف اليوم .

ولا ادري مالذي يدفع هذا المؤرخ الى تضييق العلم وتحديده . مع أن اختلاف طريقة الدارسة . ونوع العلم في مكان لا يوجب أن يكون حداً إنهائيا للأول وابتدائيا للثاني .

ولو فرضنا ان الدراسة وطريقتها تغيرت في النجف « كما هو المؤمل حسب تطور العصر . وحاجة الناس » لانقول بتأسيس جديد أو جامعة جديدة ووجود امثال أبي طالب بن أحمد بن شهريار « العالم المحدث الذي يروي عنه أبوجعفر الطبري والنجاشي في النجف الأشرف قبل هجرة الشيخ الطوسي اليها . ويعرف كثيراً غيره ممن راجع كتب التراجم والرجال » كاف في الرد على هذا المؤرخ وتفنيد قوله .

(١١) رأيان آخران

وهناك رأيان آخران لكاتبين جليلين « نذكرهما توسعة في البحث وإشباعا للموضوع وتحريرا للفكر وإن لم يكونا كالأول في القوة والمتانة » .

احد ذينك الرأيين ما ذهب اليه بعض (١) ان مؤسس الجامعة النجفية هو الأمام الكبير الشيخ المفيد « صاحب المؤلفات الكثيرة واستاذ الشيخ الطوسي . والمتوفى سنة ٤٣١ هـ » وأنه أول من أسس

(١) العلامة محمد باقر كره أي في مقدمة المجلد الثاني من خصال الصدوق المطبوع باللغة الفارسية في ايران ص ٦١

هيئة علمية في النجف الأشرف عند ما انتقل اليها من بغداد . أو نفي منها « كما عبر الكاتب » بسبب ما حصل هناك من الأختلافات والثورات .فانتقل الى النجف حيث قلة الضوضاء وفراغ البال ليقوم بتألف كتبه والرد على العامة الذي عرف به .

ولكن التاريخ لم يحدثنا عن انتقال هذا الرجل العظيم أو نفيه ولا أن عصره عصر ثورات وحروب بل كان عصراً يسوده الهدوء والسلام لا حرب فيه ولا اختلاف كما يعرف ذلك كل من درس عصر الشيخ المفيد .

و كيف نجيز هذا النفي على الشيخ المفيد هذا الرجل العظيم المكرم من ملوك عصره ملوك الدولة البويهية الشيعية وخاصة من عضد الدولة الذي هو أحد تلامذته والمتصلين به والذي عرفه عنه من إكرام العلماء ومدهم بالمال وحب العلم والفضيلة

لهذا يستبعد هذا الرأي مع أنه لا دليل عليه

والرأي الاخر ما ذهب اليه او احتمله بعض « ١ » وهو تأسيس الجامعة النجفية على عهد الصفويين او الدولة الشيعية الصفوية في العراق في القرن العاشر للهجرة

وهذا الرأي وان كان يظهره ويقر به آثار الصفويين في العراق وخدماتهم للعتبات المقدسه ومد الطلاب في النجف بالأموال وبناء المدارس والمساجد لهم فيها ، ولكنه لا يقتضي تأسيس الجامعة منهم ،

---

(١) المرحوم الشيخ محسن شراره العاملي في مقال له عن جامعة النجف منشور في م – ١٦ – من مجلة العرفان العاملية .

وعلى عهدهم .

وهذا الرأي والاحتمال واهي لا ينبغي ان تنظر فيه اكثر من لمحة خاطفة ، وانه حدس وتخمين لا مستند له ولا دليل عليه ، وحسبه ما تقدم من الادلة والبينانات الحسية على قدم العلم والدراسة في النجف وسبقها عهد الصفويين في العراق .

(١٢) خلاصة ما تقدم

فيتلخص من جميع ما تقدم « وماسيأتي « ١ » أن الجامعة النجفية اقدم جامعة اسلامية واول « اكاديمية » دينية وأسبق معهد روحي عربي « ٢ »

« ١ » وسنعود للموضوع بصورة أخرى في الدور الاول من فصل « أدوار الجامعة النجفيه » الآتي قريبا .

« ٢ » ويمكن لنا أن نقول أن مدرسة النجف اقدم مدرسة في العالم لان فريد وجدي يقول في دائرة المعارف انه « أي الازهر » اقدم مدرسة في العالم بعد مدرسة بولونيا في ايطاليا فقد تقدمته باكثر من اربعة سنيين مع ان بولونيا تأسست سنة « ١١١٩ » م وجامع الازهر شيد سنة « ٣٥٩ » هـ ومدرسة النجف تأسست حوالي سنة « ٢٥٠ » هجرية اذا اعتبرنا بناية الداعي الصغير هي المؤسسة الاولى للصحن الشريف ، ومدرسته العلمية

ومما لا شك فيه أن الازهر عند ما أسس من الدولة الفاطمية الشيعية لم يؤسس على كل شكل منظم كما هو اليوم - كما ذكر ذلك من كتب -

وأن جامعة النجف الاشرف أقدم « ١ » من جامع الازهر الشريف في مصر . وقم المعصومه في إيران .

وأن مؤسسها الأول هو علي بن أبي طالب (ع) الذي شيد ركنها الاساسي ووضع حجرها العلمي الذهبي .

(وبعد) فان نسبة تأسيس الجامعة النجفية الى الامام علي (ع) وان كان يفاجيء بعض . ؟ ! برأي بكر ونظرية جديدة لم يسبق لها بهذا التصريح والتأكيد والبحث والتوسع ، ولكن حداثة الموضوع . وقلة

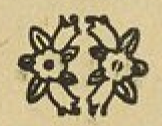
ـ عن الازهر ـ ولعل جامعة بولونيا كانت كذلك لان النظام في الجامعات واسمها من مخترعات العصر الحديث

« ١ » قال الاستاذ الزيات في مجلته (الرسالة) المصرية ـ م ـ ٩ ص (٥٠١) وإنما وصف النجف بالاشرف منافسة للأزهر الشريف في النجف معهد ديني يسير على اسلوب الازهر في اكثر شؤونه وان لم يستطع مسايرة الازهر في الانطباع بطابع الزمان والرابطة العلمية والادبية بالنجف لها لون خاص

فأدباؤها في حكم المنعزلين عن أدباء الموصل والبصرة وبغداد ولهم في انشاد الشعر طريقة لا يعرفها من سكان العراق غير النجفيين وهي طريقة تقوم على قواعد الترنيم وعلى مثلها كان الشيخ سعيد الوصفي ينشد الشعر في دروسه بالازهر الشريف ، ونحن لا نريد التعليق على هذه الكلمة فأن النجف ليس لها ذنب الا انها موالية لاهل البيت وقد الفنا ان نرى حملات شديدة نتلقاها من بعض الكتاب المصريين امثال احمد امين لذلك نمر على هذه الكلمة الصغيرة مر الكرام

البحث عنه وعدم التوجه له وسطوة السياسة في ذلك العصر، كان – كل ذلك – سبباً لطمس هذه الناحية من التأريخ وموضع مفاجئة واستغراب والشيخ علي الشرقي في مجلة لغة العرب س ٤) والاستاذ الدخيلي فى مجلة (الرسالة س ٦) وغيرهما ان سبقوا بذلك. ولكن ليس بهذا التصريح والتأكيد بحيث يصح نسبة الرأي اليهم – كما يتضح لمن راجع كلماتهم –

وترتفع شبهة كبرى عن هذا الرأي عندما نعرف المعنى المقصود من الجامعة – فى دورها الاول – ؟ نريد بالجامعة معناها البسيط او اللغوي وهو الاجتماع للدرس والتعليم بحسب ذلك العصر وطريقته على نحو تردد الامام علي (ع) وأولاده ومحبيهم الى موضع قبر علي (ع) وبقائهم عنده اياماً وليالي بذكر القرآن والتفسير والحديث الشريف، وبهـذا المعنى صح نسبة تأسيس الجامعة النجفية الى الامام علي «ع» والتأريخ الاسلامي يشهد له ويؤيده كما تقدم – ويأتي أيضاً –



الفصل الثانى

أدوار الجامعة النجفية

(١) تمهيد عام

وهـذا حديث آخر ، مستمد من حقيبة ماضي النجف ، ومن وحي تأريخها القديم ، له أهميته من جهات عدة : أهمية من جهة علاقتـه فى التحدث عن النجف اليوم . وأهميته في رفع كيان الجامعه النجفية ،واظهار قيمتها الجوهرية المكنونة ، وأهميته في تغذية روح الطالب النجفي الجديد وتزويده بالتشجيع والنشاط الفكري ، حتى لايتوهم نفسه غريباً يسير منفرداً في قافلة لا سابق لها ولا لاحق ، عندما تنكشف له طلائع القوافل العلمية ، التي سارت أمامه ، واجتازت ميادين العلم والفضيلة ، الى حيث السعادة والخلود . . تلك القوافل السابقة — على القافلة التي هو فيها — التي تحمل كثيراً من النوابغ والمجتهدين والفلاسفة والمفكرين . . أولئك ـ الذين أفادوا العالم العربي ، والأسلامي : بمؤلفاتهم وافكارهم ـ هم ، بلا ريب ، أقطاب الدين وحفظة الاسلام . .

والأهمية الـكبرى ، تطرق هذا الحديث ، الى نقطة حساسة حول الموازنة ، والمقايسه ، بين أدوار النجف وعصورها العلمية ليتبين لنا هل نحن — أهل هذا الدور الأخير — على حق في آخر الأدوار النجفية، بكلا معني التاخير : الزمني والعلمي . كما يدل عليـه إعتمادنا على أهل الأدوار السابقـة في مؤلفاتهم وأفكارهم ومسايرتنا لهم فى حركاتهم ، وسكناتهم . .؟ أو في التأخير بالجهـة الاولى ـ الزمني ـ فحسب . . وعلي العكس ، فى الجهة الثانية ـ التأخير العلمي ـ كما هي سنة التطور ، وقاعدة النشوء ،والارتقاء .؟

ونتيجة تلك المقايسة ، أو الرد على هذا الاستفسار . نحيله على الطالب النجفي الجديد ، وتنتظر حله وجوابه بعد إطلاعه على هذا الحديث ..

وموعدنا في الألتقاء معه ، في آخر هذا الحديث ، لأخذ النتيجة منه والكلمة الأخيرة في « نهاية الحديث » .

(٢) الدور الاول

ويبدأ الدور الأمل بعهد الامام علي « ع » — الذي قدم الكوفة سنة ٣٦ هـ — والذي ينسب اليه هذا الدور ، والجامعة النجفية أيضاً ، كما تقدم ذلك مع لمحة عنه وكلمة مختصرة في الحديث السابق ، وقلة المصادر القديمة في الموضوع ، واختلاف الاقوال ، هي التي دفعتنا الى ذلك الأختصار ، وأوقعتنا بمشكلة تأسيس الجامعة النجفية أيضاً . . والمهدة في ذلك على السياسة الغابرة ، التي راقبت كلما يتصل بآل البيت « ع » من مدن ومدارس ورجال وعلماء وكتب وصفحات ، ووقفت منها موقف التحذير ، والأرهاب ؟ !

ومن جهة أخرى ، اعراض المؤرخين والعلماء أمس في الكتابة عن النجف ، وأوضاعها ودراستها وعلمائها في هذا الدور وغيره .

ولعل عيون الرقباء وسطوة السياسة ، هي التي حالت بين هذا .. وذاك .. ومن هنا يتضح لنا أهميه البحث والكتابة عن النجف أمس أو الدور الأول .

(٣) فى الطريق

وربما جاء أحد الأئمة المعصومين « ع » الى قبر الامام علي « ع » مع لفيف من طلابه ، وجماعة من تلامذته، ليواصلوا دروسهم على يد استاذهم الامام « ع » ولو في الطريق ، أوعند قبر الامام علي « ع » .. ولنستمع الآن الى حديث ـ قريب من هذا المعنى ـ يرويه محمد بن معروف الهلالي قال : مضيت الى الحيرة ـ فى الكوفة ـ الى جعفر بن محمد ، فما كان لي فيه صلة من كثرة الناس ، فلما كان اليوم الرابع ، رآني فأدناني ،وتفرق الناس عنه ، ومضى يريد قبر علي أمير المؤمنين « ع » فتبعته ، وكنت أسمع كلامه ، وأنا معه أمشي » . . . فالدراسة في هذا الدور ، كانت عبارة عن الوعظ ، وتعلم الكتاب الكريم ، ورواية الاخبار ، وأحاديث العرب دون أن يكون ذلك في محل خاص ، أو مركز مخصوص ،ففى السفر والحضر وفي البيوت والمساجد كانوا يتلقون دروسهم .. وهذه الطريقة اللانظامية او السقراطية ـ كما يعبر عنها الاستاذ « رونالدسن » ـ هي التي يدعو اليها جمع من مفكري هذا العصر ، منهم الفيلسوف « برنادرشو » وغيره «١»

(٤) نور ضئيل

وبعد وفاة الامام علي « ع » ـ فى سنة « ٤١ » للهجرة ـ أصابت الحركة العلمية فى النجف ـ حسب المعنى المتقدم ـ نكسة ، ذهبت بها زمناً ، ثم عادت من جديد ، حينما قامت أول بناية على قبر الامام « ع »

(١) سيأتي التعرض لهذه الناحية ، في فصل قريب

وأخذ العلويون بالتردد على القبر الشريف ، وأخذت الدور ، والمساكن الى جواره .. وكان ذلك قبل انقضاء القرن الاول الهجري ، على ما أحسب «١»

ويحتمل من جهة أخرى أن الحركة العلمية انما بدأت فى النجف عندما ضعفت الحركة العلمية فى الكوفة ، بانتقال طبقة منها الى بغداد ، بواسطة تشجيع الملوك والخلفاء لها ، وتقريب أهلها اليهم .. وطبقة أخرى دفعها حبها لآل البيت « ع » للانتقال الى النجف حيث مرقد الامام على « ع » . وكان هذا الانتقال ، فى عهد الدولة العباسية ـ التي اتخذت بغداد عاصمة لها ـ ، وقبل عهد الملوك البويهيين في العراق ، ووجود كبيرهم عضد الدولة .. وهاتان الصورتان — لهذين الانتقالين — تعطياننا صفحة مصغرة ، عن حركة العلم فى هذا الدور . . وهذه الصور الظنية ـ المستفادة من الكتب ـ يؤيدها التاريخ ، ولا يعارضها شيء ، فهي صور علمية ، نأخذ بها ، ونعتمد عليها .

قوة وانتشار (٥)

وفى عهد الملوك البويهيين في العراق ، وخاصة في عهد عضد الدولة المتوفى سنة « ٣٧٢ » هـ ، تنشطت الحركة العلمية ، وكثر رواد العلم في النجف بسبب مابذله « عضد الدولة » من الاموال الطائلة ؛ لتشييد قبر الامام « ع » ، ومدرسته الدينية ، وما بذله على العلماء والفقهاء مقابلة لمدارس العامة في بغداد . . وهذا مادفع بعض المؤرخين ، لنسبة تأسيس الجامعة النجفية ، الى الشيخ المفيد ، المعاصر لعضد الدولة ، واستاذه

(١) راجع الفصل السابق « ص ٩ »

أيضاً . . ولعله هو الذي أشار اليه بالأنتقال من بغداد الى النجف تتميماً لأعماله التي أنشأها هناك ، وقياماً بمدرسته العلمية التي بذل عليها وعلى طلابها أموالا طائلة ، كما تقدم ذلك عن تأريخ « ابن الاثير » وكتاب « فرحة الغري » «١»

(٦) علماء وأبطال

ونختم هذا الحديث « عن الدور الاول » بالتعرض لجماعة من العلماء والرواة الكبار ، نسبوا الى النجف ، في هذا الدور . منهم : أحمد بن عبد الله الغروي ، الذي يروي عن أبان بن عثمان — أحد أصحاب الامام الصادق (ع) — ، ويروي عنه ، الحسين بن سعيد «٢» .. ومنهم شرف الدين بن علي النجفي ، الذي يقول عنه الشيخ الطوسي : « كان فاضلا ، صالحاً له كتاب » الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة «٣» .. ومنهم الشيخ أبو طالب عبد الله بن أحمد بن شهريار المعاصر للشيخ المفيد ، والذي يروي عنه ، النجاشي ، وأبو جعفر الطبري «٤» .

[٧] الدور الثاني

ويبدء ، بعهد الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن ، المعروف بالشيخ

(١) راجع الفصل السابق ـ ص ١٢ ـ

(٢) رجال المامقاني النجفي ـ م ـ ١ ـ باب الهمزة

(٣) عن رجال المامقاني النجفي ـ م ـ ٢ ـ باب الشين

(٤) تقدم ذكره ـ ص ـ ١٤ ـ نقلا عن ماضي النجف ـ ص ـ ١٧٧

الطوسي الذي انتقل الى النجف سنة « ٤٤٩ » هـ والذي فتح — أول من فتح — باب التدريس على طريقة الاجتهاد ، المتبعة اليوم في النجف، وأول من جمع من علماء النجف ، بين الحديث والفقه والاصول في مؤلفاته وأول من أوجد هيئة علمية ذات حلقات ونظم خاصة تخالف ما كان عليه حال النجف قبله .. وهذا مادفع البعض ، الى القول بتأسيس الجامعة النجفية على عهد الشيخ الطوسي ، ونسبتها اليه . . وقد أسلفنا الرد على هذا القول، وتفنيد الفكرة ، وان الشيخ الطوسي لم يوجد العلم في النجف بعد أن كان معدوماً فيها وأن كل ماأتى به لايقتضي اكثر من أن يسجل له التأريخ أنه صاحب عهد جديد ، ودور خاص ، أزدهر العلم في عصره كما كان في عصر عضد الدولة على حد سواء ، في كثرة الطلاب وقوة العلم .

(٨) هيئة علمية

إنتقل الشيخ الطوسي ، من بغداد — بسبب وقوع عدة فتن واختلافات فيها — الى النجف الاشرف ،فأسس فيها هيئة علمية كبرى، وخرج على يده تلامذة كثيرون.. وقد جاء في كتاب (اختبار الرجال) ان مؤلفه (الشيخ الطوسي) أملاه على تلامذته ، في المشهد الغروي(١)

ومن تلك الهيئة . أو هؤلاء التلاميذ ، الشيخ الأمين ، أبو عبد الله محمد بن شهريار (صهر الشيخ الطوسي) . . ومنهم السيد رضى الدين محمد ألآوي الحجفي أحد النقباء الاشراف ، والعلماء الصلحاء .. ومنهم الشيخ أبو علي بن الشيخ الطوسي ، الملقب بالمفيد الثاني . . الى غير هؤلاء من

(١) الذريعة ، لشيخنا آغا بزرك ـ ج ـ ١ ـ ص ـ ٣٦٥

تلاميذ الشيخ الطوسي ، مما يعدون بالعشرات . .

(٩) موت وحياة

وبعد وفاة الشيخ الطوسي سنة (٤٦١) هـ قام ولده أبو علي الطوسي مقامه في حفظ الحوزة العلمية ومنصب الرآسة الدينية .. وكان له ما كان لأبيه من ورود الأموال اليـــه ، وتوزيعها على الطلاب ، وتقسيمها على تلامذته الـكثيرين ! . وقد جاء في نسخة من الأمالي أن مؤلفه أبو علي الطوسي أملاه على تلامذته ، في النجف الاشرف «١» .

ومما يظهر من كلام للسيد صدر الدين العاملي أن بعد وفاة أبي علي سنة « ٥١٥ » هـ وقفت حركة الدراسة في النجف واستمر وقوفها الى عهد الشيخ علي بن حمزة بن شهريار فكانت فترة دراسية بين هذا ..وذاك «٢» والذي رأيته أن ولد أبي علي الشيخ أبو منصور محمد هو الذي قام مقام أبيه .. قال ابن الفلاح الحنبلي عنه : شيخ الشيعة وعالمهم وابن شيخهم ، وعالمهم رحلت اليه طوائف الشيعة من كل جانب ، الى العراق وحملوا اليه ـ أي الاموال ـ وكان فوق ذلك مقدساً ، قال العماد الطبري : «لو جازت على غير الانبياء صلاة صليت عليه «٣» .

وفي عهد الشيخ علي بن حمزة بن شهريار سنة « ٥٧٢ » هـ تقوت الدراسة وتنشطت حركتها العلمية .. الذي شجع الناس الى العلم ورغبهم

---

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة (ج ٢٠ ص ٣٠٩)

(٢) راجع كلامه في « ماضي النجف ص ٨٥ » على الهامش

(٣) شذرات الذهب لابن الفلاح الحنبلي م ٤٠ ص ١٣٦

اليه فكان صاحب عهد جديد في تأريخ النجف العلمي ، كما كان سادن روضتها الحيدرية ، وصاحب مدرستها الدينية ، ومدير معهدها الجليل وبعده استمرت الدراسة في النجف الى وقت طلوع نجم الدين أو المحقق الحلي ، في مدينة « الحلة » ، التي تقوت الدراسة فيها حينئذ كما ضعفت في النجف . .

(١٠) الى الحلة

وعند نبوغ المحقق الحلي ، في اوائل القرن السابع للهجرة انتقلت الهيئة العلمية من النجف الى الحلة ، وصار الطلاب ورواد العلم اليها يرحلون حتى أخرجت علماء كباراً ، وفقهاء شهيرين . . واستمر الوضع الدراسي فيها الى عهد فخر المحققين بن العلامة الحلي المتوفى سنة (٧٧١) هـ .

ورغم هذا الانتقال او هذه الفترة الدراسية فان السلسلة العلمية لم تنقطع ـ كل الانقطاع ـ عن النجف الاشرف . . ويدل عليها تخرج علماء كبار ، من النجف ـ في هذه المدة ـ نذكر منهم : نجم الائمة محمد الاسترابادي الشهير بالفاضل الرضي صاحب كتاب « شرح الكافية » الذي أثنى عليه « السيوطي » وفضله على جميع شروح الكافية ، وأغلب كتب النحو جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل . . وله فيه ابحاث كثيرة مع النحاة واختيارات جمة ، ومذاهب ينفرد بها . . (١)

وقد ألف هذا الكتاب في النجف سنة « ٦٨٣ » هـ بعد أن توطنها مدة . . وذكر في خطبته للشرح أن كل ماوجد فيه من شيء لطيف وتحقيق

---

(١) السيوطي في « بغية الوعاة » (ص - ٢٤)

شريف ، فهو من بركات تلك الحضرة المقدسة (١) ،

(١١) عود ورجوع

وبعد وفاة فخر المحققين في الحلة ، انتقلت الهيئة العلمية الى النجف : حيث مركزها الأول ، ومقر العلم الشريف ..

رجعت الى النجف ، لان الحلة خلت من العلماء الكبار ولأن ملوك السلطتين « الجلائرية والايلخانية » أرادوا أن يروا النجف عاصمة دينية كما هي عاصمة علمية في مدة اقامتهم في العراق في القرن الثامن والتاسع من الهجرة فبنوا لهم المساجد والمدارس ، وأمدوهم بالاموال الكثيرة على نحو ماصنعه ملوك البويهيين من قبل ، في الدور الاول .. وقد شاهد الرحالة « ابن بطوطة » مابني على عهدهم من مدارس ، عندما زار النجف (سنة ٧٢٧ هـ) واجتمع بعلمائها وفقهائها ، وتحدث عن تلك المدارس في « رحلته » بحديث مملوء بالاجلال والاكبار ، والمدح والثناء (٢)

(١٢) علماء وابطال

ونختم هذا الحديث ـ عن الدور الثاني ـ بذكر نخبة من كبار العلماء ، ممن تخرجوا في عهد السلطتين « الجلائرية ، والايلخانية » في أواخر هذا الدور ـ : منهم الشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الشهير بأبي

(١) الخونساري في (روضات الجنات . في أحوال العلماء والسادات) طبع ايران .

(٢) رحلة ابن بطوطة في الجزء (١) ص «١٠٩»

المتابقي الحلي النجفي صاحب التصانيف الكثيرة ، التي أوقفها على المكتبة الحيدرية (١) في النجف ، ولازالت فيها كتبه بخطه الشريف ككتاب « الارشاد » في الهندسة ، والتصريح في الطب الذي فرغ منه سنة ٧٧٤هـ في المشهد الغروي (٢) ومنهم الشيخ أبو عبد الله المقداد السيوري ، المشهور « بالفاضل المقداد » المتوفي سنة (٨٢٦) هـ وصاحب كتاب (شرح باب الحادي عشر) الذي هو من الكتب الدراسيه في النجف اليوم . وكانت له مدرسة علمية ، تعرف بأسمه اندرست ، مع مااندرس من التأريخ الماضي . .

الدور الثالث (١٣)

ويبدأ الدور الثالث بعهد الشيخ أحمد بن محمد المعروف بالمقدس

(١) المكتبة الحيدريه في النجف ، من أقدم مكاتب النجف وأشرفها ولعلها أسست في أواسط هذ الدور (الثاني) لان الفاضل الرضي ألف شرحه على الكافيه فيها (كما قيل) ولان بعض المؤرخين ذكر ان هذه المكتبة أحرقت سنة (٧٥٥) هـ فجددها جماعة - منهم ابن الآوي النجفي الذي كان صدرا للحكومة الايلخانية ، ومنهم فخر المحققين بن العلامة الحلي .. - وفي هذه المكتبة من النفائس والتحف القديمة ، الشيء الكثير ومن جملتها قرآن با الخط الكوفي كتب عليه ، أنه بخط الامام علي ومنها شرح الدريديه لأبن خالويه بخط يده ، وقد تم تشييد الدار الفخمة لنقل المكتبة اليها واستفادة الرواد منها .

(٢) الذريعة لشيخنا آغا بزرك (ج ٤ ص ١٩٦)

الاردبيلي المتوفى سنة (٩٩٣) هـ وقبره الى جنب مرقد الامام علي (ع)
وهو ممن أحيا الدراسة العلمية ، وأدار حركتها في النجف ، بعد أن
أشرفت على الهلاك ، وقاربت سلسلتها العلمية من الانفصال ، والانقطاع
لولا أن هيأ الله لها من يوصل مافصل ، ويحرك ماسكن ذاك هو :
« المقدس الاردبيلي » الجليل . . الذي ازدهر العلم بعصره ، وتهافت عليه
الطلاب من هنا . . وهناك . . حتى تشكلت هيئة علمية كبيرة ، وساعد على
ذلك ملوك الصفويين ، فبنوا لهم المدارس والمساجد ، وأمدوهم بالأموال
كما صنع ملوك الدولة « الجلائريه ، والايليخانيه » من قبل .

(١٤) تعريف واجمال

وكان الشيخ الاردبيلي على ماهو عليه من ضنك العيش وضعف المادة
إذا بدى له حل مسئلة يتطاير فرحاً ويقول :

« أين الملوك وأبناء الملوك عن هذه اللذة » ؟ . . .

و « للمقدس الاردبيلي » مؤلفات جليلة منها « آيات الاحكام »
و « شرح الارشاد » و « حديقة الشيعة » وغيرها ...

وقد تخرج عليه علماء كبار : منهم الشيخ حسن بن الشهيد الثاني
العاملي صاحب كتاب « المعالم » في الاصول ، . والسيد محمد العاملي
صاحب كتاب « مدارك الاحكام » والشيخ ملا عبد الله النجفي مؤلف
كتاب « الحاشيه » في المنطق ، وهذه الكتب الثلاثة لهؤلاء العلماء لم
تزل من الكتب الدراسية في النجف الاشرف حتى اليوم !

(١٥) انحرافات وتقلبات

وفي أواخر القرن الحادي عشر للهجرة ، وقع تصادم بين المملكتين « الصفويه ، والعثمانيه » مما سبب قلة الهجرة ووفود الطلاب الى النجف الاشرف وثمة سبب آخر لذلك وهو ضغط « العثمانيين » على العلماء ورجال الدين ، بعد استيلائهم على العراق على العكس مما كان عليه « الصفويون » من تقدير العلم واحترام رجاله ومع هذه الشدة فان الدراسة في استمرار متصل ، كما يدل عليه تخرج علماء كبار ، وفقهاء كثيرين ، نذكر منهم الشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى « ١٠٨٥ » هـ صاحب كتاب مجمع البحرين في اللغة وربما عد منهم الشيخ البهائي صاحب (الكشكول) والعلامة المجلسي صاحب (البحار) والمحقق الكركي العاملي الى غير هؤلاء ، ممن قضى مدة من الزمن في النجف الاشرف بالدرس والتدريس

(١٦) علماء وابطال

ونختم هذا الحديث عن (الدور الثالث) بذكر جماعة من العلماء الكبار تخرجوا من النجف في اوائل القرن الثاني عشر الهجري .

منهم الشيخ محمد الفتوني العاملي النجفي المتوفى سنة « ١١٣٨ » هـ. صاحب كتاب (مرآة الانوار) في التفسير .

ومنهم الشيخ أحمد بن اسماعيل الجزائري النجفي المتوفى سنة (١١٥١)هـ. صاحب كتاب « آيات الاحكام » .

ومنهم الشيخ حسن بن العباس بن الشيخ محمد علي البلاغي ، صاحب

(تنقيح المقال ، في علم الرجال) ، ووالد الشيخ عباس ، الذي هاجر الى جبل عامله ، وتوفى هناك . . الى غير هؤلاء .

(١٧) الدور الرابع

ويبدأ هذا الدور ، بعهد السيد محمد مهدي بن السيد مرتضى الطباطبائي الشهير بالسيد (بحر العلوم) المتوفى سنة (١٢١٢) هـ .. وقبره الى جنب قبر الشيخ الطوسي فى النجف ، ويعد السيد من كبار الطائفة ، واجلاء علماء الاسلام ! ولنا ان نسمي عصره بعصر النهضة العلمية ، لكثرة من نبغ فيه من الفحول الكبار والعلماء والاجلاء ، ولكثرة تهافت الناس على العلم فيه ، وازدياد الطلاب .. واستمرت تلك النهضة العلمية ، الى مابعد وفاته وظلت تجر ذيولها الى آخر هذا الدور . الذي لم يبلغه عهد مابلغه ..من انتشار العلم ، وكثرة الطلاب حتى بلغت طلابه نحو العشرة ألاف طالب ! أو أقل ، أو واكثر ، على اختلاف المحصين ولحاظاتهم .. كل ذلك بفضل السيد بحر العلوم مؤسس النهضة ، ومخرج الفحول.

(١٨) علماء كبار

ونذكر فيما يلي جماعة من العلماء الكبار ممن تخرجوا من النجف فى هذا الدور منهم الشيخ : جعفر بن الشيخ خضر الجناحي المعروف بالشيخ الاكبر ، و [كاشف الغطاء] صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذي يقول عنه الشيخ مرتضى الانصاري : من أتقن القواعد الاصولية التي أودعها الشيخ في كشفه فهو عندي مجتهد ومنهم السيد جواد بن السيد محمد

العاملي صاحب كتاب (مفتاح الكرامة) الذي يقول : عنه (الخونساري) في كتابه (روضات الجنات) (لم تر عين الزمان أبداً بمثله ، كتاباً مستوفياً ، لأقوال الفقهاء ومواقع الاجماعات وموارد الاشتهارات وامثال ذلك . .) ، ومنهم الشيخ محمد حسن الشهير (بالجواهري الكبير) صاحب (جواهر الكلام) الذي هو : في الفقه ، ككتاب (البحار) ! في الحديث مرجعاً . وسعة ، ومنهم الشيخ مرتضى الانصاري الذي لاتزال مؤلفاته من الكتب الدراسية ، ونظرياته في الفقه والاصول لاتزال محل الاخذ والعطاء والاهتمام والاكبار لها بين الفطاحل والمجتهدين . ، ومنهم السيد كاظم اليزدي صاحب (العروة الوثقى) في الفقه ، ومنهم الميرزا النائني صاحب النظريات الاصولية الشائعة على لسان العلماء والطلاب ، الى غير هؤلاء الفحول ممن تخرجوا من الجنف في هذا الدور الاخير .

بيوت وعائلات (١٩)

ونذكر هنا قسما من العائلات العلمية النجفية – التي هي كمدارس سيارة ، تخرج العلماء والابطال ، ويتوارث حفظها الابناء بعد الاباء – لأن اكثرها انشئت في هذا الدور منها عائلة : آل الاعسم وآل بحر العلوم وآل الجزائري وآل الجواهري وآل الحكيم وآل شبر وآل شيخ راضي وآل الطريحي وآل العاملي وآل القزويني وآل كاشف الغطاء وآل محي الدين وآل المظفر وغيرها ، ولا تزال اكثر هذه العائلات حتى هذا العهد وفيهم اليوم المراجع والمجتهدون ، والعلماء والفقهاء ، وذوو ، بيوت مرموقة أو قفوا نفوسهم لأستقبال الضيوف وخدمة الأمة واعانة

الطلاب . . .

(٢٠) قوة وانتشار

توسع العلم في هذا الدور وكثر طلابه ـ وخاصة في آخره ـ بواسطة أمور كثيرة . . يرجع بعضها الى نظر الحكومة لها واهتمام العلماء بها وسخاء المثرين من المؤمنين لبناء المدارس وتشييد المعاهد وتقديم التبرعات وتأدية الحقوق ، ويرجع بعضها الى المخترعات الحديثة بانتشار الطبع للكتب ، وتسهيل وسائل النقل الى غير ذلك من الامور التي تعود الى تحبيب العلم والترغيب له ، وهذه القوة العلمية وكثرة الطلاب . وجدت في أوائل هذا الدور ، ولا زالت مستمرة حتى اليوم ، رغم وقوع عدة ثورات وحروب ، ورغم توزع العلم هنا وهناك ! !

(٢١) تأسيس مدارس

وبالرغم من تأسيس عدة مدارس دينية في أماكن مختلفة ، وتوجه الطلاب اليها فان النجف لم تزل محتفظة بتلك الكثرة من الطلاب ، ورآستها على غيرها من معاهد العلم . . ، ففي كربلا أنشئت هيئة علمية تخرج منها أمثال الشيخ محمد باقر البهبهاني ، الملقب « بالأستاذ الاكبر » والشيخ يوسف البحراني صاحب كتاب « الحدائق » في الفقه ، . . والشيخ محمد حسين صاحب كتاب « الفصول » في الاصول . . ، وأمثال شريف العلماء ، وصاحب « الرياض » ، والداماد وكثير غيرهم . . ولا زالت مدارس كربلا آهلة بالطلاب حتى اليوم . . ، وفي الكاظمية تأسست

هيئة علمية ، وعدة حلقات يشغلها آل ياسين ، وآل الصدر ، وغيرهما وفيها أنشئت مدرسة الامام الخالصي . . وفي سامراء هيئة علمية أسسها الزعيم الديني ميرزا (محمد حسن) المتوفى سنة « ١٣١٢ » هـ .. وفي قم هيئة علميـة أسسها الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي . . ولا تزال مدارسها اليوم تزهر بالعلم ، ويرجى أن يكون لها مستقبل منعدم النظير كما تدل عليه بعض الملامح ، وماورد في الأخبار (١) .

(٢٢) ثورات وحروب

وبالرغم من وقوع عدة حوادث وحروب ، في هذا الدور لم يتزعزع شيء من قوة النجف ، وعزيمتها الثابتة !

ففي عصر الشيخ جعفر الكبير ، عندما بدأ الوهابيون في ثوراتهم كانت النجف وعلماؤها تستعد لمكافحة ذلك وتعمل ماتعمله كل دولة صغيرة من التجنيد والتدريب على حمل السلاح ، وكيفية الرمي كما يدرب حماة الوطن اليوم . . . وهكذا كان الحال بعد الشيخ الكبير ، وقبل عهدنا هذا بقليل ، حتى أصبح تدخل العلماء ، ورجال الدين في السياسة وأمور الدولة من الأمور المألوفة ، فهذه الثورة العراقية والثورة النجفية لاستقلال العراق ، كانت اليد الطولى فيها لمجتهدي النجف وعلمائها ،

(١) كانت رحلتنا لأيران ـ سنة ١٣٧٢ هـ بصحبة الأخ الشيخ نجيب الخطيب ـ رحلة مختصره لم نستطع خلالها ان ندرس حالة جامعة « قم » او دار الايمان ـ كما تسمى ـ ومن كتب عنها لم يعد التعريف القصير لها هذا وذلك نرجو من فضلائها ، الكتابة عنها كتابة وافية .

أمثال الأخوند صاحب الكفاية والسيد أبو القاسم الكاشاني والسيد محمد سعيد الحبوبي ، والخالصي الكبير ، والعلامة الجزائري والمصلح الشهرستاني وغيرهم من علماء النجف (١) .

وكان تدخل العلماء في السياسة وأمور الدولة ، لايخرج عن حدود الدفاع عن الدين الاسلامي . وجذب المصلحة للاسلام والمسلمين ...

(٢٣) نهاية المطاف

« وبعد » فهذه لمحة خاطفة وصورة مصغرة ، عن أدوار الجامعة النجفية وعصورها العلمية ، مع من نبغ فيهامن العلماء والمجتهدين الكبار الذين تقوت الدراسة العلمية في وجودهم وتنشطت المعارف الأسلامية في عصورهم ، ومع ماتقدم عليها من الثورات والتقلبات السياسية التي سببت قلة الهجرة اليها ونزوح طلابها عنها .

وكأني بالطالب النجفي يقف عند آخر كلمة من هذا الحديث ! ! ثم لا أراه يعيد نظره لماضي النجف مرة أخرى ليوازن او يقيس . بين أدوار النجف وعصورها العلمية ـ كما وعدنا في مستهل هذا الحديث ـ ، بل أراه قد انتقل ـ فجأة ـ لمستقبل النجف القريب أو البعيد ، تاركا خلفه ماضي النجف لأبنائها الماضين ، وجاعلا أمامه كلمة الامام علي (ع) حيث يقول : « علموا أولادكم غير ما علمتم . فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم » فهو لهذا راح يوجه كل فكره الى ماينقشه خياله على صفحة خاطره : حول الخطط . والتنظيمات التي ينبغي أن يسير عليها مستقبل النجف .

(١) راجع ماضي النجف وحاضرها ـ ص ـ ٢٤٦ ـ وما بعدها .

وطلابها النشيطون !! ، مما يلائم حاضر العالم المتمدين . ومستقبل الاسلام الحنيف ـ الذي هو دين المستقبل ، كما تنبـأه الفيلسوف الانكليزي « برنادرشو » في كتاب أصدره عن الاسلام ، وأحرقتـه الـكنيسة المسيحية في أوربا ، بعد أن نشر قسما منه في الصحف الانكليزية وأخذت صورتها الصحف العربية ـ ، وهكذا ظل يرسم خطوطاً كثيرة !! في عواميد مختلفة عن مستقبل الجامعة . وحركتها الاصلاحية . ونهضة طلابها التي هي على وشك الوقوع . والتطبيق والتنجيز ..

وقد بدت للعالم ملامح تلك النهضة النجفية ،

وحركتها الدينية الاسلامية ، في الكتب . اوالمجلات وعلى الاعواد والمنابر .. نرى النجفيين في تلك .. يحملون سلاح العلم والدين ، ويهتفون بالوحدة . والاسـلام . والتمسك بالقرآن . والامر بالمعروف . والنهي عن المنكر . ومماكسة اعداء الدين. ومكافحة الاراء الشاذة والنظريات الماركسية الساقطة . والكلمات السخيفة ..

ويهتفون ايضاً بقدسية النجف . وروحيتها ، وعلمائها . ومجتهديها ، وما يتعلق برسالتها الاصلاحية. وهدفها السامي. والغرض الاقصى الجليل!! لتؤدي النجف رسالتها العالمية العليا ، ولتنشرها في جميع البلدان والاقطار الاسلامية ، ولتكون جامعة . وخريجوها جامعيين بملء الفم . وما تظم هاتان الكلمتان !!

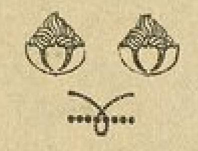
هذا ما يريده شباب الجيل الجديد . وطلاب العلم الديني واليه يهتفون وله يدعون في مؤلفاتهم . ومقالاتهم ومحاضراتهم الدينية . ويضيفون الى

ذلك في هتافاتهم آيات . وروايات جليلة تشفع بالارشـاد . والتوجيـه . والاصلاح والتنبيه ، وكأني بهم وهم يرددون قول هذا الشاعر :

بني المعاهد هبوا طال نومكم   قد هيأ الله هذا المصلح البطلا

وبعدوجودمصلح اكبر — لا كما يقول الشاعر — .وتيقضاوتنبه بني المعاهد . نصل الهدف المقصود والغرض الاقصى وبعـد ذلك يكون الدور الذي يلي دورنا هـذا .. هو الدور الخامس لجامعة النجف، والدور الاول أيضاً . ، وان كان آخر الادوار ، على نحو ماقاله فيلسوف الشعراء ! وشاعر المعرة :

وإني وان كنت الاخير زمانه   لآت بما لم تسطعه الأوائل



الفصل الثالث

معاهد الجامعة النجفية

«١» تمهيد

«٢» الى الأندلس

«٣» في بغداد

«٤» هنا وهناك

«٥» مشيدات خالدة

«٦» جولة صغيرة

«٧» نظرة للماضي

«٨» خاتمة المطاف

تمهيد (١)

لابد لنا ـ ونحن نتحدث عن الجامعة النجفيه ـ أن نمر بتلك المعاهد العلمية ، ونقف أمام تلك المدارس الدينية ، للعظه والاعتبار ، والعلم والاطلاع والفائدة ، وقبل الشروع في هذا الحديث لابأس أن نلمح الى حديث آخر عن معاهد الاندلس ، ومدارس بغداد ، ومعاهد إسلامية أخرى بين الامس واليوم ، الى غير ذلك مما تذكرنا به مدارس النجف اليوم . .

ويتضح لنا أهمية هذه المدارس الاسلامية ـ بكلمة مختصرة ـ ماقاله العالم الألماني (ربتر) : « إن المدارس الفقهية ، والتفكير الديني في الاسلام يمثلان الفلسفة العربية أكثر مما يمثلها جمهور الفلاسفة أتباع (ارسطو) كالفارابي ، وابن سينا وابن رشد وغيرهم (١)

الى الاندلس (٢)

تذكرنا المدارس النجفية بمعاهد الاندلس العلمية ومدارسها الاسلامية

---

(١) أخذ السيد قطب فكرة هذا الالماني في كتابه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » وراح يحارب بها الازهر ، ويحمل على معاهده العلمية حيث قال : وبدلا أن ينهض الازهر بهذه الرسالة (فلسفة الفقه) راح يدرس فى كلية أصول الدين ، مايسمى خطأ بالفلسفة الاسلامية من كتب ابن سينا ، وابن رشد ، هذه الانعكاسات للفلسفة الاغريقية التي لاصلة لها بحقيقة الفكرة الاسلامية الكلية ..

التي كانت في « بامبلونه » و « سيجوفيا » و « برشلونه » و (طليطله) وغيرها .. هـذه المدارس العربية التي يعود الفضل اليها في نقل ثقافة العرب الى الغرب ، حيث أنها المقباس الذي أفاد الغربيين من نوره واهتدوا بهديه . ومنذ ذلك الحين بدأت الدراسات الشرقية وتعليمها في مدارس الغرب ، وشرع المستشرقون في ترجمة الكتب العربية الاسلامية الى سائر اللغات الحية في العالم .

(٣) في بغداد

وتذكرنا هذه المدارس النجفية أيضاً بمدارس بغداد الشهيرة كمدرسة « دار العلم » لنقيب الاشراف السيد الرضي التي كان ينفق عليها وعلى طلابها من ماله الخاص (١) كما أسس فيها مكتبة كبيرة .. هذا مضافاً الى ناديه العلمي الادبي ، الذي كان يجتمع فيه للمذاكرة والمناقشة في العلم والادب .. وهذا النادي ليس كنوادي هذا العصر مقيداً بنظام خاص ، بل هو مجمع للعلماء والادباء ، كما هو الحال في نوادي النجف اليوم ومجالسها العلمية الادبيه ، ومن مدارس بغداد الشهيرة ، المدرسة المستنصريه ، التي شيدها الخليفة « المستنصر بالله » في القرن السابع الهجري . وهي كما حدثنا (ابن الفوطي) من أنها كانت تضم نحو ثلثمائة متفقه . وكان لهم رواتب

(١) قال الشيخ البهائي في كشكوله : (كان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قرائته على السيد المرتضى كل شهر اثنى عشر ديناراً ولابي البراج كل شهر ثمانية دنانير) ومن هنا نعرف سبق الاسلام في التعليم المجاني لجميع مدارس العالم ومعاهد أوربا .

من مال ، وطعام ، ولباس ، وصابون ،وحلوى الى غير ذلك (١)

هنا وهناك (٤)

وتذكرنا هذه المدارس النجفية ايضاً ، بمدارس اسلاميـة اخرى (كما اطلق عليها المؤرخون) متفرقة هنا وهناك ، ليس لها بنايات خاصة كالتي نتحدث عنها من مدارس بغداد أمس ، ومعاهـد النجف اليـوم تلك امثال مدارس البصرة التي خرجت اخوان الصفا ، وسيبويه ، وامثال مدارس جبل عامل التي تخرج منها الامام الشهيد الأول ، والبهائي الجبعي والحر العاملي ، وامثال مدارس الحلة التي خرجت المحقق الحلي ، والعلامة الحلي ، وابن ادريس ، الى غير تلك المدارس .. وانما كانت مدارس هؤلاء ، في تلك المدن ، هي بيوتهم ومساجدهم ، فيكون اطلاق المدرسة على تلك لا يخلو من تسامح وتساهل

مشيدات خالدة (٥)

وعلى كل حال ، ليس لهذه المدارس اثر اليوم ، الا قسما منها ـ أبقاها الله حفظاً لقرآنه ، اذهو القائل (وانا له لحافظون) وتخليداً لسنتـه كما قال تعالى « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ـ استطاعت أن تخلص نفسهـا من يد الدهر ، كمدارس جامع الازهر في مصر ، ومدارس قم المعصومة في ايران ، ومدارس النجف الأشرف في العراق .. هذه المدارس هي البقية

---

(١) صفحة ٥٣ من (الحوادث الجامعة) لابن الفوطي المطبوع في بغداد بتحقيق وتعليق الدكتور مصطفى جواد .

الخالدة من تلك المدارس القـديمة التي تغنى بها المستشرقون ، والتـأريخ القديم والحديث ! هذه المدارس الثلاث ، هي المـدارس الكبرى ، التي يرجع اليها المسلمون في شرق الارض وغربها ، والتي يعود اليها الفضل في نشر الاسلام في المناطق النائية ، وبثه والتبشير به.. واما غيرها من المدارس الاسلامية الموجودة اليوم ، في ايران والعراق ، ومصر ، وتونس ومراكش واليمن والحجاز ، وسوريا ولبنان ، والهند والافغان ، وغيرها .. فهي فروع عنها وتابعة لها .

(٦) جولة صغيرة

ولو رجعنا لتأريخ تشييد معاهد الجامعه النجفية الحـاضرة اليوم ، لوجدناها شيدت جميعها في وقت متأخر في مدة لا تزيد على سبعين عاماً ! في حين أن المدارس في النجف اليوم تقرب من عشرين مدرسة علمية ، اذ اقدم مدارس النجف اليوم ، مدرسة الصدر ـ للحاج محمد حسين خان الأصبهاني الذي كان يشغل منصب الصدارة ، أو رآسة الوزارة للسلطـان فتح على شاه القاجري ـ التي تأسست في الشهر الاول من القرن الثالث عشر الهجري ، ولا تزال تبنى المدارس في النجف حتى الآن . فهذه مدرسـة آية الله البروجردي الجديدة التى ستكون في ثلاثة طوابق على اجمل طراز وأحدث بناء .. ومن المدارس النجفية الشهيرة اليوم ، مدرسة السيد كاظم اليزدي التي هي اكبر مدارس النجف وأجملها في الهندسة ، والفخامة ، وبعدها مدرسة الآخند الكبرى ، والوسطى ، ومدرسة الخليلي الكبرى ومدرسة القوام ، والمدرسة الاحمدية ، والمدرسة الهندية ، والمدرسـة

المهدية ، ومدرسة البخاري ، والقزويني ، وبادكوبا ، والايرواني .. ومنها مدرسة المعتمد — لمعتمد الدولة عباس قلي خان وزير السلطان محمد شاه القاجري — أو مدرسة كاشف الغطاء التي أعاد بناءها على طراز حديث ووضع فيها مكتبة عامه .. وقد مر دور على هذه المدرسة وهي ذات نظام وامتحان وشهادات .. ولكنها لم تدم على ذلك حتى عادت لطريقتها الاولى ..

ومنها مدرسة منتدى النشر التي يعود اليها الفضل في نشر الكتب وطبعها واخراج الكتاب ، والخطباء الكثيرين! الى غير هذه من المدارس الصغيرة . والقديمة المنهدمة

(٧) نظرة للماضي

وقبل تشييد هذه المدارس ، كانت في النجف مدارس اخرى (١) قد مضت مع ما مضى من الدهر ، ولم يحدثنا التأريخ الا عن بعضها كمدرسة المقداد السيوري « العاملي » المؤسسة في القرن الثامن الهجري ومدرسة

(١) ويدل على وجود مدارس في النجف ، غير ما ذكرناها ، ما اشار اليها ابن (بطوطة) الذي زار النجف سنة ٧٣٧ هجرية وتحدث عن مدارسها في رحلته حيث قال : « ج ١ ص ١٠٩ » وبازاء قبر علي المدارس وقوله : ويدخل من باب الحضرة الى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة كما أنه ذكر من مدارس النجف (مدرسة الضياف) وجاء في ماضي النجف (ص ٨٥) نقلا عن كتاب فارسي ان السلطان محمد خدابنده وابنه ابو سعيد بنى مدرسة في النجف في القرن الثامن للهجرة .

الشيخ ملا عبدالله النجفي في القرن العاشر ، ومدرسة الحيدرية الموجودة في الجانب الشمالي من الصحن العلوي الشريف التي كانت في زمن العثمانيين تخلص الطلاب من الجندية وهي اليوم مقر للفقراء من الزائرين ، وكان الصحن العلوي الشريف المركز الأعلى للطلاب في اجتماعاتهم ومذاكراتهم والمقر الرئيسي للعلماء والمجتهدين في أبحاثهم وعباداتهم ، ولو أهتم به مع الطابق الاعلى منه وخفت القدم عنه في اوقات مخصوصه لكان في طليعة معاهد النجف ومدارسها العلمية الحافة به ، كاحتفاف معاهد جامع الازهر به ومدارسه التابعة له (١)

٨) خاتمة المطاف

هذه لمحة عن مدارس الجامعة النجفية ، ومعاهدها العلمية الدينية ، مع ما يتبعها من حديث للتمهيد والمقارنة . والذكرى ، هذه المعاهد النجفية التي أطلق عليها بعض الادباء اسم الجامعة الصامتة ! وهي ليست بصامتة (ان صح التعبير) وكأني بها — كما أتخيل — تقف امام الجماهير الغفيرة من المسلمين القريبين والبعيدين الذين ينظرون اليها بعين الاكبار والاجلال !

---

(١) وثمة ربط ثاني وقرابة اخرى ، بين هذين الجامعين وهو تشييدهما من دولتين شيعيتين وتأسيسهما في زمانين متقاربين ، فقد اسس الاولى — الصحن العلوي — ملوك البويهيين في القرن الرابع الهجري وبنى الثاني — الازهر — ملوك الفاطميين في القرن الخامس الهجري ولعل لتشييد هذين الجامعين من هاتين الدولتين سراً هناك لم يتحدث عنه كاتب وما تعرض له التاريخ .

لنقرء صحيفة حياتها ، وما سطرته يدالتاريخ ، وما تشكوه من المـآسي التي مرت عليها ،وما تطلبه من الاصلاح والأهتمام بها :وما اثبتته في صحيفتها من الشكر والتذمر والانس والحزن ، والهدم والبناء ، والحل والعقـد ، الى غيرذلك من الامور التي نراها متناقضة حسب حالة المسلمين وحكوماتهم المبعثرة ، وحالة الوضع الديني اليوم اعاذنا الله من عاقبتـه .. ونحن نكتفي بهذه التلويحات ونحيل التفصيل الى مشاهدة كتب النجف وطلابها وحلقاتها ومجالسها ومدارسها ومعاهدها ايضاً ، عل هناك من يسمع أو يبصر..



الفصل الرابع

نظام الجامعة النجفية

١ — تمهيد
٢ — نظام الزي
٣ — كتب الدراسة
٤ — أقسام الدراسة
٥ — طريقة الدراسة
٦ — بحث وحوار
٧ — لغة الدراسة
٨ — النظام المالي
٩ — إمتحان وشهادات
١٠— العطل الدراسية
١١— مقايسة وتوجيه
١٢— الكلمة الاخيرة

(١) تمهيد

يتسائل البعض هل يوجد نظام في جامعة النجف ؟ فيكون الجواب مرة بالنفي (لا) لأن نظامها لا يشبه نظام الجامع الأزهر ، أو المدارس الحديثة اليوم ، ويكون الجواب مرة أخرى بالايجاب (نعم) نظراً لما تضم هذه الجامعة من نظم خاصة كنظام الزي ، والكتب ، واللغة والمال ، والامتحان ، والشهادات ، والعطل الدراسية ، الى غير ذلك مما هو من صميم النظام وجوهره وحقيقته . . ويمتاز نظام النجف بالخدمة الصحيحة والعمل المتقن والاعتناء بالمعنويات والجوهريات ! . . وليس للمظاهر الفارغة والشكليات المزخرفة الأثر المهم والاعتناء الكامل عندها . . والطالب النجفي فى مراحل دراسته لا يفكر بأن يحظى بكرسي ، أو يستحصل على شهادة أو يجوز عقبة امتحان اكثر من ان يفكر ويهتم بطلب العلم لنفسه . ولربه . ودينه . ومبدئه . ووطنه وأبناء جنسه . وجلدته (١)

(١) فى الذكرى الالفى لجامع الأزهر سنة ١٣٦١ هـ ، القى أحد أساتذته كلمة جاء فيها « ما ابعد الفرق — أيها المعهد العتيق — بين يومك وامسك ، لقد كان طلابك مثلا عليا . فى الجد والاقبال . على العلم ينقطعون اليك ! ويؤثرونك على اوطانهم . وأهليهم . ويرتشفون من مناهل علمك ! ويغترفون من بحار فضلك . تدفعهم الرغبة المخلصة وتغريهم اللذة العلمية وكان — الطلاب — مثلا عليا ! فى الخلق والاستقامة وحسن الطاعة . لا يشاورون . ولا يمارون: ولا يصخبون

وفيما يلي عرض موجز لمصاديق ذلك النظام ، مع ما يتصل به ، ويتعلق فيه ..

(٢) نظام الزى

عند دخول الطالب للجامعة النجفيـة يبدء — أول ما يبدأ — بلبس العمة ، والجبة الاسلاميتين اللتين كان النبي يرتديها والأئمة المعصومون (ع) والخلفاء الراشدون . كما يدل على ذلك التاريخ الاسلامي ، والحديث النبوي المستفيض . وقد أخذ الاسلام زيه هذا عن العرب وامرائهم قبل ، إذ لم يشرع الاسلام زيا خاصاً ، غير ما كان عليه العرب ، الذي نشأ بين ظهرانيهم ، وبدأ دعوته فيهم ، ولذلك قيل في المثل العربي القديم « العمائم تيجان العرب ! » وجاء في الحديث « تعمموا فان الشياطين لا تتعمم » (١) واستمر هذا الزي

ـ ولا يصيحون ! ويخضعون رؤسهم لاساتذتهم متأدبين ! ويسعون الى رؤسائهم طائعين . أما اليوم فقد جرائهم الاساتذة : ولحظهم الرؤساء وشغلتهم عن العلم المطالب والرغائب واصبحوا لا يعملون إلا لاجتياز الامتحان إلى آخر المقال المنشور فى س ١٠ من الرساله . ومما ذكر . نعرف اهمية الاخلاص والاتقان فى العمل التى تمتاز به النجف على الأزهر لقربها لاروبا

(١) ويرى المصلح الاكبر السيد هبـة الدين الشهرستاني . أن العمامة زي شرقي . لا فرق بين عربيه وأعجميه . في كلمة له عن تأريخ العمائم فى مجلة (المرشد) البغدادية (م ٢ ج ٦)

للتابعين ـ وتابعي التابعين ـ وأشراف المسلمين وعلمائهم ومحدثيهم .. الى عصر الخليفة الرشيد ، الذي أمر فيه ـ في سنة ـ ١٨٣ هـ ـ أبو يوسف قاضي قضاة الكوفة ، في عهده ، بتوحيد اللبـاس الديني ، وتخصيصه بعلماء الدين ، ونزعـه عمن سواهم ، كما حـدثتنا بذلك بعض الكتب التاريخية « ١ » . وهذا يشبه ماصنعته حكومة سوريا حديثاً ـ في سنة ١٣٧١ هـ ـ باصدار قانون للباس الديني ، ومن يتزيا بذلك الزي الشريف! وقبل سوريا تحدثت به ايران ، والعراق . ولكنه لم يتم فيها .. ويا حبـذا لو عادتا الى الفكرة ثانياً .. هذا هو اللباس الروحي ونظامه ولمحة عن تاريخه

(٣) كتب الدراسة

واما كتب الدراسة في هذه الجامعة فهي في علم النحو :

(أ) شرح الاجرومية لابن أجروم (*) (ب) شرح القطر لابن هشام (ج) شرح الالفية لابن الناظم . وربما درس غير تلك كألفية ابن عقيل

---

(١) كتاب (تتمة المنتهى في وقائع ايام الخلفاء) باللغة الفارسية للشيخ عباس القمي (ص : ٢٤٦) .

(*) كتاب الأجرومية من اشهر كتب النحو القديمة ، ومؤلفه ابن اجروم الذي هو من خريجي جامع (القرويين) ومعهدها الاسـلامي في المغرب ، الذي أسسته امرأة — ولعلها علوية — اسمهـا السيـدة ام البنين فاطمة بنت محمد الفهري ، ونسبة هذا المعهد الى الازهر كنسبـة معهد كربلا والكاظمية الى النجف . وقد كتب عنه بعضهم كتابة وافية في السنة (٦) من مجلة « الرسالة المصرية »

وشرح جامي . وربما توسع الطالب فيدرس (المغني) ..

وفي علم المنطق : (أ) كتاب الحاشية لملا عبدالله النجفي (ب) شرح الشمسية لقطب الدين الرازي . وربما توسع الطالب فيـدرس (شرح المطالع) .

وفي علم المعاني والبيان والبديع (أ) الشرح المختصر للتفتزاني (ب) الشرح المطول . وربما اكتفى باحدهما عن الآخر .

وفي علم الاصول (أ) المعالم للشيخ حسن بن الشهيد الثاني العـاملي (ب) الكفاية للآخند (ج) الرسائل للانصاري .

وربما درس كتاب القوانين وكتاب الفصول

وفي الفقه (أ) كتاب الشرايع للمحقق الحلي (ب) شرح اللمعـة للشهيدين ـ ج ـ كتاب المسالك أز المدارك أو غيرهما من الكتب الفقهية

وفي الحكمه والكلام : ـ أ ـ شرح باب الحـادي عشر للسيوري . ـ ب ـ شرح التجريد للحلي « ج » منظومة السبزواري وربما درس من هذا العلم كتاب الاسفار لملا صدرا .

ويدرس في علم الحساب كتاب « الخلاصة » للبهائي . وفي علم الهيئة كتاب « الاسطرلاب » للبهائي ، وفي الهندسة « اشكال اقليدس » ، وفي اللغة كتاب « المنجد » و « مجمع البحرين » و « القاموس » وفي الرجال كتاب « رجال المامقاني » و « رجال ابي علي » وغيرهما ، وفي الحديث كتاب « الرسائل » و ـــ والبحار — وأمثالها ، وفي التربية والتعليم ، كتاب « آداب المفيد والمستفيد » للشهيد العاملي ، الى غير هذه الكتب وغير هذه العلوم من القديمة والحديثة ، وهذه الكتب الدراسية ـ التي ليس

للطالب أن يدرس غيرها، وعلى غير التسلسل المذكور — لا يخلو اكثرها من الحواشي والتعليقات، التي تشوش ذهن الطالب وتضيع عليه فهم الأصل ولذلك منع الازهر مطالعتها فى السنين الأربع الاول ، وأصدر فى ذلك قانوناً سنة « ١٣١٤ » هـ « ١ » ولهذا ايضاً اشتهر بين طلاب النجف [الحواشي غواشي]

(٤) اقسام الدراسة

والدراسة فى هذه الجامعة النجفية تنقسم الى قسمين :

القسم الاول ويسمى بالدرس السطحي وهو ان يحضر الطالب كتابه، ويقرء استاذه عليه العبارة ويشرحها ويفسر غرض المصنف منها .. وهذا القسم فيه جميع العلوم القديمة والحديثة — ولا سيما العلوم المتقدمة — والقسم الثاني ويسمى بالدرس الخارج وهو أشبه بمحاضرات لا يحضر فيه الأستاذ، ولا التلميذ كتابا من موضوع ما يلقيه الاستاذ، وهو اليوم خاص بعلمي الفقه والاصول . وعلم الفلسفة والتفسير ايضاً .. وفى كلا هذين القسمين تكون حالة الطلاب مع اساتذتهم على شكل حلقة مستديرة . تحيط بالاستاذ الجليل! مفترشة ما على الارض فى الجلوس بدل الكراسي والمنصات ومع هذا التبسط والجلوس المتواضع فان لتلك الحلقات الجميلة من الهيبة والروعة . مما لا نراه في غيرها من الحالات !!

« ١ » كتاب – لمحة عن الازهر – ص ٤٥

(٥) طريقة الدراسة

إن أهم ما في طريقة الدراسة النجفيـة هي الحرية الكاملة التي يحظى بها الاستاذ والتلميذ معاً ، وهي اشبه شيء بالطريقة الدراسيـة ، التي كان عليها الامام الصادق (ع) مع تلامـذته . كما يحـدثنا عنها المستشرق « رونالدسن » حيث قال : « سقراطية يأخذ المتلمذين بالحوار والمحادثة ويتدرج من المسائل الساذجة الى المسائل المركبة ، والمطالب المعقدة والاسرار الغامضة » .. وكما ان للاستاذ أن يلقي ويرتئي بما يشاء ، كذلك للطالب أن يعترض بما شاء ويناقش استاذه ، ويسئله على غير حد .. وجامع الأزهر وان منع السؤال باكثر من ثلاث مرات ، وأصـدر قانوناً في ذلك — سنة ١٣١٤ هـ — ولكن هذا التحديد ، لا يخلو من الاحتكار للعلم والضغط على الطالب ، كما يجعل الاستاذ فيه ، ان يهذي بما يشاء على نحو . ما حدثنا به عن بعض شيوخ « الازهر » في يوم جاء تدريس تلامذته في درس لم يكن قد طالعه ، وكان فيه هذا البيت المشهور « كادت نفوس القوم عند الفلصمة » فقرئه الاستاذ بالفاء بدل الغين !! فلما اعترضه طالب سبه . واهانه وتخلص بتلخصات واهية « ١ »

«٦» بحث وحوار

وهناك — في الجامعة النجفية — نحو من الدراسة ، يسمى بالمذاكرة

---

١ — المرحوم الشيخ محسن شراره في مقال له عن النجف في مجلة العرفان — م ١٦ ص ١٠٠ —

والبحث ، وهو أن يتفق طالبان على وقت خاص ، وفي موضوع خاص ..
ثم يجتمعان ويأخذانه بالبحث والحوار ، والمناقشة والخلاف .. وقد قيل
ان الدراسة النهائية ، في بعض معاهد أوربا ، على هذا النحو ، أو قريب
منه .. وهذا هو الذي يدعو اليه ، المفكر العالمي « برناردشو » حيث
يقول : « تعلموا كل شيء بواسطة الجدل ، والوقوف على الأراء المتناقضة
واعلموا أن هناك مؤامرة أبدية ، تريد ان توقفكم على وجهة نظر واحدة
فاحبطوها باتباع نصيحتي » ويقول : « ثم عليكم ان تجادلوا اساتذتكم
فاذا أدلى استاذ التأريخ برأيه . فقولوا له لقد سمعنا رأيك لكننا سنبحث
عن استاذ يخالفك في الرأي فاسمح لنا ان نستمع اليكما وأنتما تتناظران
كل منكما يدافع عن وجهة نظره عسى ان نهتدي من جدلكما الى الحقيقة « ١ »

«٧» لغة الدراسة

ولغة الدراسة – في الجامعة النجفية – ، هي اللغة العربية الفصحى التي
هي لغة القرآن . والحديث . والكتب الدراسية المتقدمة .. وأما ابناء
الجاليات الاجنبيه والبعثات العلمية الاخرى ! أمثال البعثه الايرانية والهندية
والافغانية . والتكرية . والتبتية الى غيرها من القوميات والهويات
الكثيرة التي تزيد على عشرين هوية اوجنسية ! .. فان كل هؤلاء يتعلمون
اللغة العربية الفصيحة ، قبل كل شيء .. الا القليل منهم فتترجم الدروس

(١) من حديث بعنوان – يجب هدم جميع الجامعات في العالم – للمفكر
العالمي – برناردشو – منشور في مجلة البيان النجفية – س ٦ – ع ٤٦ –

لهم . وعبارات الكتب الدراسية ..

وفي هذا .. تؤدي الجامعة النجفيه لابناء الضاد ولغتهم العربية أياد بيضاء وخدمة كبرى ..

والاستاذ علي الشرقي — ابن النجف ، وخريجها — عرف هذا .. ومع ذلك راح ينسب الروح الفارسية الى النجف في دراستها وكتبها ، وينسب الروح العربية الى الازهر !!! في حين أن الأزهر ، كالنجف في البعثات الاجنبية من اللغات الاخرى [١]

(٨) النظام المالى

وأما النظام المالي — فى جامعة النجف — فمصدره ما تسمح به رجال الخير ، ومحبو الفضيلة ومؤدوا الحقوق الشرعية : من الخمس والزكاة وغيرهما تجبي هذه الاموال من بلاد المسلمين (٢) ويؤتى بها الى المرجع الديني فى النجف ، وهو الذي يقسمها على الطلاب باعانات ورواتب شهرية كل بحسبه ..

وكانت الميزانية السنوية للمرحوم المقدس السيد ابو الحسن الاصبهاني تتراوح بين الخمسمائة والستمائة ديناراً !! (٣) حتى قال المرحوم « عبدالله بن الحسين » ملك شرق الاردن : « ان هذا يزيد على ميزانية بعض الدول الصغيرة في العالم » .. ومن النظام المالي ، منح الخبز للطلاب ، الذي لم يكن

(١) راجع مقاله (الحركة الفكرية في النجف) فى مجلة ـ لغة العرب ـ ـ س ٤ ح ٦ ـ التي كان يصدرها البحاثة الاب الكرملي فى بغداد

(٢) و ـ ٣ ـ راجع كتاب ـ الامام ابو الحسن ـ طبع النجف ص ٦٠

قديما في النجف وانما هو حديث لم يمر عليه اكثر من خمسين سنة ، بينما الازهر كان فيه جراية الخبز قديما ، وقبل أن يوجـد في النجف ـ وان قطع عن الازهر اليوم ـ كما جاء في كتاب (المراغي) من سلسلة (اقرء) المصرية (١) .. ثم إن مالية الخبز ، وأكثر ما يرد على النجف من الاموال هي من متربي ايران . والهند وغيرهما . .

(٩) امتحانه وشهادات

وللامتحان « في هذه الجامعة » صورة خاصة ، يخالف ما عليه مدارس هذا العصر الحديث ، فهو يكون في الطريق وفي المجالس وفي حلقـات الدرس .. يختبر المحصل أو الناجح لدرسه بالاحتكاك والكلام .. وترتيب أثر ذلك يظهر من تقدير الاساتذة لهم واحترام العلماء ، الذين لا يمارون ولا يجارون . والفقيه المجتهد يبرز ، بتقديم رسالته العملية التي هي (كالأطروحة) لتحصيل الشهادة العالية في هذا العصر ، واما الشهادات — في هذه الجامعة — واجازات الاجتهاد التي لا تعطى الالذوي الكفاءة العلمية والاستعداد الكامل ، على الأستنباط ، بعد اختباره وامتحانه بالطريقة المذكورة ، وبعد ذلك يكون لحاملها في انس واستقرار في نفسه واحترام واكرام من عارفيه !! ، وله أن يقوم بترتيب محاضرات علميـة لألقائها في الدروس العالية ، وأن يكون مبعوثاً ووكيلا في مدن المسلمين واقطارهم لامامة الجماعة والصلاة في الناس ووعضهم ، وارشادهم ، ويقوم بالرسـالة الاسلامية والتعليمية والاصلاحية ، التي كان يحملها الانبياء والأئمة ، اوكل

(١) ص ٧٥ من (الامام المراغي) ، و ع ـ ١١٥ من سلسلة (اقرء)

مصلح كبيراوطبيب نفسي جليل !!.

(١٠) العطل الدراسية

واما العطل الدراسيه « فى هذه الجامعة » فهي عطلتان :

عطلة سنوية وهي شهر رمضان ، وعشرة محرم ، وبعض أيام اخرى..

وعطلة اسبوعية،وهي يوما الخميس والجمعة ،اماتعطيل يوم الجمعة فلأنه يوم مولد نبينا محمد « ص » وعيد المسلمين عامة — كمايتعطل اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد — واما تعطيل يوم الخميس فلم اجد له وجهاً الا انه عادة جرت بين الطلاب .. ويرجع بتاريخها الى عهد « العلامة الحلي » الذي كان يزور الحسين (ع) فى كل ليلة جمعة ، وكان يستعد ويهيىء الزاد والراحلة يوم الخميس . ويسير مع لمة من طلابه بموكبه العلمي من الحلة الى كربلا ،ولذلك لما توفي العلامة الحلي ورآه ولده فخر المحققين فى الحلم قال له : (لولا زيارة الحسين ، وكتاب الالفين لقصمت الفتاوى ظهر ابيك نصفين) .وفى روايةان اول من عطل الخميس هو الخليفه عمر بن الخطاب (رض) حيث امر شيوخ الصبيان ان يتعطلوا عن القرائة يوم الخميس اوليلة الجمعة ولضعف هذا المستند ولعزة الوقت،يرى كثير من الطلاب الغاء عطلة الخميس وان كانت عالمية وفى دوائر الحكومة بصورة اخرى ونصف نهارية ..

وأماالعطلة الصيفية فليس لها نظام خاص فى جامعة النجف ،وهذا مما يؤسف له، اذ لابد للطالب من عطلة الصيف فى كل عام ؛ يفرغ فيها فكره ويقوم بالوعظ والارشاد اوغير ذلك،وهذا ما دفع شيخنا واستاذنا الاكبر السيد ابو القاسم الخوئي وهو على منصة المحاضرات الاصولية للبحث الخارجي

ان يقرر جعل عطلة صيفية من كل عام.

(١١) مقايسة وتوجيه

لم يزل يردد كثير من الطلاب ضرورة تعديل نظام النجف — حسب حاجة العصر ومسايرة الزمان — كما تغير من ،قبل واختلف عما كان عليه امس من الضعف والبساطة ، والقوة والنشاط اليوم ولكن النقد لا يزال عند قسم من الطلاب حملا ثقيلا ويرى المصلح منهم بالانتقاد مهما كانت نيته شراً ام خيراً ، اصلاحا او افساداً ، ولأن كان ما نحن فيه نقداً و كان وما نلمح اليه عيباً (فكفى بالشيء فخراً ان تعد معايبه) وكفى ان النية طيبة [والاعمال بالنيات] أو الغاية تبرر الواسطة كما يقول علماء الاخلاق وكفى ان طلاب الأزهر امس ، كانوا يشكون مما تشكوه النجف اليوم واساتذتها المفكرون !!

يقول الامام المراغي ، في مذكرات مهمة له ، عن الأزهر الشريف نقتطف منها ما يلي :

(يجب ان يدرس — علم الفقه — دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وان تدرس قواعده مرتبطة باحوالها من الادلة) . (لم تزل كتبنا في الأزهر هي الكتب المعقدة التي لها طريقة خاصة لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية)

« لم نحاول ان نقرب للناس ولا لأنفسنا هذه الكتب ولم نحاول ان نأخذ النافع منها لنعرضه عرضاً يروج عند اهل هذا العصر » . « ولم نزل ننفق اوقاتنا الثمينة في المناقشات اللفظيه ، وفي خدمه نصوص المتون ،

وعبارات المؤلفين . . » .. « ولم نزل نشغل أنفسنا . بالفروض الفقهية . كما اشتغل بها السابقون . ولم نزل نحس ثقل العلم . ولا نجد لأنفسنا إندفاعاإلى تحصيله . ولا رغبة في المثابرة على طلبه..» (١) .. هذا ما قاله أحد المصلحين الكبار . والأساتذة المفكرين عن الأزهر امس . ونحن نقوله عن النجف واوضاعها اليوم ..

(١٢) الكلمة الاخيرة

ونقول (ونحن على عتبة النهاية من هذا الحديث) أن المرحوم الملك فيصل بن الحسين — الذي تربطه بالنجف رابطة الرجـل بآل بيته . والأنتساب إليهم — هو أول من فكر بتنظيم النجف وجعلها كأزهر مصر — على نحو ما حدث عن الملك فؤاد في مصر ، حيث رغب أن يرى علماء الأزهر كأندادهم من رجال الدين في أوربا — ولكن لم يتم لفيصل ما أراد .. (٢) وبقت فكرته وفكرة اخرى معارضة لها ، تتصارعان في مجالس النجف . ومدارسها ، وحلقاتها أيضاً ، بين الأخذ والعطاء والطرح والتأييد ... ويعتمد المعارضون على كلمة ينسبونها إلى المرحوم السيد أبو الحسن الأصبهاني ، وهي « كل شيء إذا انتظم اخترم واذ اخترم انتظم » (٣) هـذه الكلمة لا ينبغي نسبتها الى المرحوم

(١) مجلة « الرسالة » المصرية (س ١١ ع ٣٨٥) .

(٢) راجع مجلة « الغري » النجفية ، في مقال للاستاذ كبة عن النجف (س ٢ ع ٥٩) .

(٣) راجع (وحي الرافدين) للأستاذ الحوماني (ص ٢٢) .

الأصبهاني، لأنها تعارض نفسها بنفسها ، . إذ الاحترام والانتظام جعل كل منها علة للأخرى ، وهو ما يسمى عند المناطقة بالدور الباطل — ولأنها تخالف طبيعة الأسلام القانونية ، ودستوره العالمي العظيم .. وبالجملة إن الشباب الروحي لا يزال يتطلع للمستقبل بعين ملؤها الأمل لكشف تلك السحب الكثيفة !! والمستقبل — كما قيل — كشاف ..

٨٧٨٧٨٧٨٧٨٧٨٧٨٧

٨٧٨٧٨٧٨٧٨٧

٧٨٧٨٧

الفصل الخامس

علوم الجامعة النجفية

(١) مقدمة البحث

(٢) مراحل ودرجات

(٣) فلسفة النحو

(٤) علم المنطق

(٥) الفصاحة والبلاغة

(٦) الفقه والاصول

(٧) الدراسة الفردية

(٨) الفلسفة والحكمة

(٩) الشعر والأدب

(١٠) موضوع الاجتهاد

(١١) باب مفتوح

(١٢) إختلاف الآراء

(١٣) دائرة معارف

(١٤) في الزاوية

(١٥) المصدر الأول

(١٦) زبدة المخاض

(١) مقدمة البحث

العلوم الإسلامية هي كل ما يتعلق بالإسلام . ويتصل به إتصالا قريباً ، كالنحو . والمنطق . والمعاني والبيان . والفقه والاصول والفلسفة والحكمة . وغيرها . من العلوم ، التي ألف فيها . وكتب عنها آباؤنا المتقدمون في مجلدات كثيرة . . ملؤا بها دور الكتب . وخزائن المكاتب في الشرق والغرب .. وقد اعترف الغرب باعتماده عليها ، وأخذه منها ، فيما اكتشف ، واخترع .. حتى قال بعض علماء الغرب : « إن مدينة اوربا ، وحضارتها . قامت على أربعة كتب من كتب « إبن حيان » تلميذ الامام الصادق (ع) !! ..

هذه العلوم الاسلامية التي درسها آباؤنا القدماء . وعلماء المسلمين أمس . فنجحوا في إبلاغ رسالتهم الاسلامية وأصابوا الهدف في دعوتهم المحمدية ، وخدموا بها الاسلام ، وحفظوا اركانه . وقواعده . واصوله . وفروعه ، وأظهروا عزه ومجده ، وبذلك حفظوا الاسلام أيضاً من الضعف والتفكك ، وتقوى المسلمون عقيدة . وإيماناً وسيطرة . ونفوذاً . وحكومة . ورجالا . وفكرة . وعلماً .. وعندما أعرض أكثر المسلمين عن دراسة تلك العلوم إلى غيرها من علوم تقليدية صرفة ليست من روحية الشرق . ولا مادية الغرب ، وقعنا في هذا الاضطراب والارتباك !! وعندما أعرضنا عن دراسة علوم آبائنا إلى غيرها من علوم تتعلق بالجسم . أكثر منها بالروح ، وبالدنيا أشد صلة منها بالدين . ، أصبنا بهذا الداء العضال . والمرض القاتل الذي يعانيه الشرق اليوم !! ..

(٢) مراحل ودرجات

والعلوم النجفية هي من تلك العلوم الاسلامية القديمة . التي تقبل للتمطيط ، وتصلح لكل زمان ؛ وتسير مع كل عصر · ما دام حديث الاسلام · وفكرة الدين · وغذاء الروح . وحياة النفس حديث المثاليين وذوي الفضيلة . ودعاة السلم · ورجال الأخلاق وعلماء الدين الروحيين ·

ويمكن لنا تقسيم تلك العلوم النجفية ـ بحسب هدف الطالب وغرضه · وطريقة دراسته · في هذه الجامعة ـ إلى مراحـــل ثلاث :

« المرحلة الاولى » : ويدرس فيهاعلم النحو · والمعاني والبيان وشيئاً من علمي الفقه . والاصول .

« المرحلة الثانية » : ويحضر فيها ـ خارجاً ـ علمي الفقه والاصول بالطريقة الاستدلالية . وفي أثناء هذه المرحلة يتجه الطالب إلى الدراسة الفردية . والكتابة والتأليف ، وإلى المطالعة للكتب ، ودراسة بقية العلوم · من القديمة والحديثة .

« المرحلة الثالثة » : وهي الدرجة العالية ·لتحصيل رتبة الاجتهاد ونيل قوة الاستنباط للأحكام الشرعية الاسلامية ! .

ولتوضيح هـذه المطالب . وما يتعلق بها أدرجنا الأبواب الآتية (عنها باختصار واجمال) ·

(٣) فلسفة النحو

عند دخول الطالب الجامعة النجفية يجد — باده ذي بده — طريقاً

معبداً وسنة متبعة في دراسة العلوم الأولية ، وكتبها الدراسية قد أسسها السلف للخلف ، فيشرع (أول ما يشرع) بدراسة علم النحو ، فيلتزم بدرس كتاب شرح الآجرومية ـ وأكثره فى الاعراب وكتاب شرح القطر ـ وأغلبه في القواعد النحوية ـ وكتاب شرح الألفية لابن الناظم ، وهو فى الفلسفة النحوية غالباً .

ولعل للفلسفة النحوية ـ أو مزج النحو بالمنطق . وتجريده عن الأدب ـ الصبغة الغالبة . والأثر البين فى دراسة علم النحو فى الجامعة النجفية . ولعل أول من أسسه . أو توجه إليه . واعتنى به من علماء النحو « علي بن عيسى الرماني المعتزلي » ، ولهذا قال أبو علي الفارسي « إن كان النحو ما يقوله الرماني . فليس معنا منه شيء . وإن كان النحو ما نقوله.فليس معه منه شيء » . ولدراسة علم النحو ـ فى هذه الجامعة ـ فوائد كثيرة فمن صون اللسان عن الخطأ فيه . وشحذ الذهن وتوسعة الفكر بالمسائل النظرية منه ، إلى تفهم لغة القرآن ومعانيه . وأسرار الحديث الشريف . وكلام العرب . ومن وراء ذلك في دراسة علم النحو عامل قوي لتخليد اللغة العربية . وبقائها علي رونقها الأصلي القديم . وسبب لانتشار لغة الضاد . وطريق لحفظها من الزيادة والنقصان . والموت والانهيار أيضاً .

وحاجة هذا العلم اليوم . كحاجته أمس ، وضرورته لهواة الأدب . بمثل ضرورته لطلاب الدين . ولولا ذلك . لما وقع كثير من الصحافيين . والكتاب الناشئين فى هوة من الأغلاط اللغوية والنحوية . التي نراها اليوم في الكتب والمجلات . وهذا ما دفع اليازجي . لوضع كتاب

(اغلاط الجرائد) . والاستاذ داغر لتأليف (تذكرة الكاتب) .

(٤) علم المنطق

ويدرس الطالب « في هذه الجامعة » من علم المنطق كتاب الحاشيه وشرح الشمسية ، وربما درس غير ذلك لمن أراد التوسع فى هذا العلم ، الذي هو قسم من علم الفلسفة ولهذا يسمى بالفلسفة العملية . وعلم الميزان وله اسماء أخر . ومن فوائد هذا العلم . صيانة الفكر عن الخطأ فيه . والقدرة على الاستدلال . والمحاجة عند المحاورة لاظهار الحق بترتيب الأشكال . والأقيسة ، ومنها صقل الفكر . وتوسعة الذهن ، تمهيداً للمسائل الفقهية النظرية .

ولا بد لنا أن نقول كلمتنا . عن هذه الكتب المنطقية ـ واكثر كتب الجامعة النجفية ـ وهى انها خالية من التمرينات . والتطبيقات وضرب الأمثلة ، مضافاً إلى ردائة الطبع . وقلة الاعتناء بها : بترتيبها وتنسيقها ، ليسهل تناولها . ويقرب فهم معانيها . وحينئذ ، فلا بد من تعيين لجان . لاختيار الكتب وتنسيقها ، أو تأليف كتب جديدة ـ تجمع بين العلوم القديمة والتفنن والتنسيق الحديث ـ أمثال كتاب « المنطق » للشيخ محمد رضا المظفر . وغيره .

(٥) علم الفصاحة والبلاغة

ويدرس الطالب من علم المعاني والبيان والبديع كتاب المختصر . والمطول ، لمعرفة طرق الفصاحة . وأسرار البلاغة ليقتدي بها . ويعمل

عليها . ويتفهم أسرار تراكيب القرآن الكريم وفصاحته المعجزة . وبلاغة الحديث الشريف . وعبارات المؤلفين ـ ذات التراكيب العربية الفصيحة ـ و كلام العرب . لأن النبي (ص) يقول : (إذا خفي عليكم شيء فى القرآن . فارجعوا به إلى كلام العرب) . ، ومن طالع كتاب « الكشاف » للزمخشري عرف أهمية هذا العلم . وضرورته لرجال الدين وعلمائه ولكل مبشر ومبلغ . للتعبير عن المقصود . والتأثير فى القلوب بالكلام البليغ . والبيان الساحر .على نحو ما قاله النبي (ص) : « إن من البيان ، لسحرا » !! ، والذي ينبغي أن نقوله هنا إن هذا العلم أصبحت دراسته قليلة والاعتناء به ضعيفاً نسبة لبقية العلوم .

(٦) الفقه والأصول

يدرس الطالب من العلم الأول التبصرة . والشرايع واللمعة . ومن العلم الثاني المعالم والكفاية والرسائل ـ هذا فى المرحلة الاولى كسابقه ـ ، وهذان العلمان أهم ما في الجامعة النجفية من العـــلوم . وأجلها لشدة إرتباطها بالدين . وتعلقها بالقرآن . والسنة الشريفة ، وكل ما يدرس ـ فى هذه الجامعة ـ من بقية العلوم القديمة والحديثة ، فهو تمهيد لهذين العلمين . وتوصل إلى نظرياتها الدقيقة . ومسائلها المشكلة !! . ولا أريد أن أبين أهمية هذين العلمين . وشدة إرتباطها بالقوانين الحديثة والحقوق والمحاماة ، لأن ذلك بحث سيمر عليك . ولـكن الذى اريد أن أقوله هنا هو أن من راجع الوضع الدراسي أمس لهذين العلمين وكتبها ، لوجد بوناً بعيداً بين الدراسة أمس وبينها اليوم . ، وأقول ثانياً ، ما قاله أحد

المفكرين الفقهاء في إحدى المؤتمرات الكبرى جاء فيه : « إن الفقه الاسلامي لجدير بأن يكون أهم مصدر من مصادر التشريع الحديث . وأن على أهله لواجباً أن يخلصوه مما علق به من آثار الجمود . والركود وأن يقربوا للناس سبل الانتفاع به »

[٧] الدراسة الفردية

وبعد إنتهاء أكثر الطلاب من الدروس السطحية ـ أو دراسة العلوم المتقدمة ـ يلتحق بالدروس الخارجية . فيحضر دورة فقهية استدلالية مجملة ، واخرى اصولية ، وبعدها يجد الطالب أمامه ، طريقين مخيراً بسلوك أيها : طريق موصل لرتبة المرجعية العليا ، ودرجه الاجتهاد السامية ومنصب الفتيا والحكم بين الناس في النجف الاشرف ، وهي المرحلة الثالثة الآتية . وطريق آخر موصل لرتبة استاذ ومدرس . فى النجف الاشرف أو وكيل وإمام جماعة . وواعظ ومرشد فى خارج النجف الأشرف . وهي المرحلة الثانية التي بين أيدينا . وفي هذه المرحلة يدرس الطالب ـ أكثر ما يدرس ـ على نفسه . ويتخرج عليها ، كما تخرج الرازي . وإبن سينا ، إلى كثير من علماء الشرق . ممن تخرجوا على أنفسهم ، ومن علماء الغرب أمثال « برنادرشو » . (وادارون) . وكثير غيرهم ممن لم يدخلوا مدرسة ، حتى أن الفيلسوف الانكليزي «هربرت» قد جاوز عمره الثمانين وهو يفتخر بأنه لم يدرس الأجرومية!! وهذا النوع من التعليم يسمى بالتثقيف الذاتي ، وقد الف بعضهم فيه

كتابا بهذا العنوان (١) .

«٨» الفلسفة والحكمة

وللطالب في هذه المرحلة أن يدرس من العلوم ما يحتاج إلى الدرس ـ كعلم الحساب والهندسة والفلك والطب ـ على أساتذة متخصصين في النجف الأشرف ـ وكان في النجف أمس مدرسة طبية . لا يزال أبنائها حتى اليوم ـ . ولعل علم الفلسفة والحكمة والكلام ، أبرز هذه العلوم « في الجامعة النجفية » وأشدها إعتناء واهتماماً بها . في حين كنا نرى الأزهر يمنعه . ويحجر عليه !! ، وكيف لا يمنعه . والشافعي يقول : « إن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك . خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام » !! . ، ويقول الامام المراغي (٢) : منذ أربعين سنة اشتد الجدال حول جواز تعلم الحساب والهندسة والتأريخ في الأزهر ، وحول تعليمها لعلماء الدين ومنذ أربعين سنة . قرء لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة . على أن نكتم الأمر لألا يتهمه الناس بالزيغ والزندقة !! (٣)

ولهذا . وذاك يرجح أن دخول الفلسفة إلى الأزهر ، كان

(١) كتاب «التشقيف الذاتي» أو كيف نربي أنفسنا للاستاذ سلامة موسى

(٢) المراغي الذي يقول بفتح باب الاجتهاد وبطلان القسم بالطلاق . ووقوع الطلاق الثلاث مرة واحدة ، إلى غير ذلك مما عليه مذهب الشيعة الجعفرية .

(٣) ص ٧٦ من كتاب (الامام المراغي) لأنور الجندي .

عن طريق النجف، منذ دخول جمال الدين الأفغاني إلى مصر سنة ١٢٨٨ هجرية ، بعد تخرجه من النجف . وتلمذته على فلاسفتها ، لأنه أول من بذر الفلسفة في مصر ، وأخذ عنه تلميذه الامام محمد عبده ، كما قال ذلك كل من كتب عن فيلسوف الشرق الأفغاني (١)

(٩) الشعر والادب

وأما الشعر والأدب « فى الجامعة النجفية » فلها اليـــد الطولى والامارة المطلقة فيها ، منذ القدم حتى اليوم !! . ولا أريد أن أطيل الحديث . عن شعر الكوفة أمس ، ولكن أقول أن شعر النجف اليوم. هو الشعر المسيطر على أدب العراق وأكثر شعراء الجزيرة العربية ! الذين تخرجوا من الجامعة النجفية.أو ممن تلمذوا على خريجيها، وحسبنا أن يكون منها . أمير شعراء العرب اليوم : الشاعر الجواهري . الطائر الصيت . وأديب القصه الاستاذ الخليلي . ومعالي البحاثة الشبيبي والشيخ علي الشرقي،والسيد الصافي (٢) إلى كثير غيرهم .

---

(١) راجع كتاب « لمحة عن الأزهر »للدكتور الوافى (ص : ٢٦)

(٢) السيدأحمد الصافي النجفي. نزيل سوريا اليوم،الذي يقول فى طالب علم مهاجر . قد أدمن في طلب العلم ، وهام في درسه حتى أسكره فى ليلة ما فنام فوق كتابه !! :

هام في الدرس يافعاً في كتابه ونأى عن قبيله وصحابه
وانزوى ينعش الفؤاد بعلم مسكر للنفوس في أكوابه
سهر الليل للصباح اجتهاداً ثم أعيا فنام فوق كتابه

يقول شيخنا العلامه موسى السبيتي : « لا أستطيع أن أؤمن أن مصر أقوى عقلية . وأوفر ذكاء من النجف وأقدر على التجوال . في الآفاق الأدبية الرحبة ، بل عكس ذلك هو الذي أصدقه وابرهن عليه ؛ نعم سعدت مصر بموقع جغرافي ، ادناها من أوربا . فتناولت من موائد الغرب كل شهي مستطاب . فالروح الأوربية نافذة في هيكل أدبي . ولم نجد أدباً مصرياً منتزعا من نفسية وعقلية مصر . كما نجد في النجف . حتى أن تمثيليات شوقي صدى خافت لتمثيليات « شكسبير » وعوائق ذيوع الأدب النجفي سياسة لا غير (١)

(١٠) موضوع الاجتهاد

والطريق الثاني - من الطريقين الذين يجدها الطالب امامه - على حسب ما تقدم - هو الطريق الموصل لمرتبة الاجتهاد - والاختصاص بعلومه . وما يتعلق به ويتوقف عليه - الذي هو ضرورة من ضروريات الدين كما عليه مذهب الجامعة ، من وجوب تقليد المجتهد الأكبر ، ومن ضروريات المجتمع الحاضر ايضاً ، كما تنبه لذلك أخيراً . جماعة من كبار العلماء فى مصر . فدعوا له وحثوا عليه ، ولعل موضوع (الاجتهاد) هو من أهم ما يجب أن يهتم له فى « هذه الجامعة » لتسهيل الطريق إليه وتقريب الوصول له بحيث يستطيع الطالب أن يحصل مرتبة الاجتهاد . فى وقت قصير ، ومدة محدودة ، ويجمع بين عدة وظائف ، ويقوم بواجبات كثيرة ، ويدرس عدة علوم ، كما كان الحال في كل ذلك قبل

(١) عن مجلة (العرفان) العاملية (م : ٣٣) و (ص ٥٠٢)

اليوم . ، فهذا الامام الشهيد الأول قد اجتهد ولم يبلغ العقد الثاني من عمره !! ـ كما تحدث عن نفسه في بعض كتبه ـ ومثله العلامة الحلي . وكتبها في سائر العلوم ـ وآرائها فيها ـ لا تزال القطب الأعظم ما بين الكتب العلمية في هذه الجامعة وغيرها . وفي رواية عن العلامة الحلي أنه قال : « من كان في الدرجة الاولى من الذكاء ولم يجتهد في أربعة سنين فلا خير فيه • ومن كان في الدرجة الثانية من الذكاء . ولم يجتهد في ثمانية سنين فلا خير فيه ، ومن كان في الدرجة الثالثة من الذكاء ولم يجتهد في إثنى عشر سنة فلا خير فيه » .

ويقول السيد ابن طاووس صاحب « الاقبال » في بعض مؤلفاته ما معناه « قرئت التهذيب ـ للشيخ الطوسي ـ فلم يشك أحد في إجتهادي » وكان مع ذلك لا يفتي برئيه . لشدة احتياطه وتقدسه !! .

(١١) باب مفتوح

وتمتاز الجامعة النجفية — أو المذهب الجعفري — بفتح باب الاجتهاد • ومع ذلك لا تزال مرتبته عالية لا ينالها الطالب — في هذه الجامعة — إلا بسنين طويلة يقضيها بالتعب والجد ، على العكس مما عليه العهد السابق — كما تقدم — ولعل السبب في تأخر الاجتهاد في هذا العصر . هو توسع العلوم المتعلقة به و كثرة فروعها وملحقاتها وما يتصل بها . ، ويدل عليه المقايسة بين الكتب الدراسية — سابقاً — كالزبدة ، والمعارج • في علم الاصول ، وبين الكتب الدراسية اليوم • كالكفاية . والرسائل ، التي فيها من الفروع والأقسام والتشقيقات . والتصحيحات.

والتحقيقات . مما لم تذكر فى الكتب القديمة الضيقة !! ، . ولعل السبب فى توسع العلوم هو فتح باب الاجتهاد المطلق . وبقائه لهذا اليوم . ، ولهذا يحتاج إلى التوزيع على العلماء . وتخصيص كل منهم بكتاب ، أو علم من كتب الفقه الاسلامي وعلومه . ، وهـذا ما يسمى باصطلاح الفقهاء « بتجزى الاجتهاد » الذي ذهب اليه جمع كثير من مجتهدي الجامعة النجفية وعلمائها .

(١٢) اختلاف الاراء

وهنا سبب آخر . لتوسع العلوم وتقدم المعارف — في هذه الجامعة النجفية — وهو الحرية الكاملة للفقيه : في أن يختار ويرجح أي قول من أقوال علماء المسلمين . وإن كان شافعياً أو حنبلياً . و . ، ولاختلاف الاراء . و كثرة الأقوال . فى كل مسئلة فقهيه . من غير تحجر أو جمود وضغط على حرية الرأي — ضمن مواد محدودة ، يعرفها الفقهاء — . ، فقد تبلغ الأقوال فى المسئلة الواحدة . والاراء ، عدد العشرة والعشرين ! وليس أدل على تلك الحرية « لدراسة الفقه » من الكتب العلمية والدراسية التي تتناول عرض أرآء المسلمين . وردها أو تأييدها ، ككتاب « مفتاح الكرامة » و « جواهر الكلام » ، وأوضحها كتاب « المختلف » للعلامة الحلي . الذي يذكر اقوال علماء الاسلام . ومجتهديهم . من غير فرق . بين سنيهم وشيعيهم .. ومع هـــذه الحرية لدراسة الفقه الاسلامى — في هـــذه الجامعه — فان الأزهر . واساتذته ، يرمون النجف بالتعصب والفقه الجعفري بالجمود .. مع أنهم لا يعرفون عن

النجف شيئاً ، ولا يقرئون عن الفقه الجعفري . او يدرسونه فى الازهر رغم إنشائه من الشيعة الفاطميين . والمسحة العلوية التي تبدو عليه أمس .

وليس أدل على الحرية فى العقائد فى هذه الجامعة ـ مضافا الى دراسةعلم الفلسفةوتناول أقوال علماء العالم فيه ـ من قصة تاريخيةصغيرة ، وهي أنه عندما اريد إدخال كتب دارون . وشبلي شميل . الى العراق ، فى عهد السلطة العثمانية ، أرسلت إلى النجف وعلمائها . تستشيرها فى ذلك ،فعقد علماء النجف مجتمعاً ، قرروا فيه . وأفتوا ـ أخيراً ـ بجواز إدخالها الى العراق . على ان تنقض وترد ،وقد رد على نظرية داروت الشيخ اغا رضا الأصبهاني ،وعلى كتب شبلي . المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي . (١) وغيرهما

(١٣) دائرة معارف

ومن توسع العلوم الاسلامية . أن أصبح الفقه الجعفري فى هـــذا العصر . دائرة معارف وشبكة علوم متراصة ، تضم علوماً وفنوناً متعددة تشترك جميعها بالغرض الذي لاجله ، اسس علم الفقة ، وترتبط معه ،بنحو من الارتباط ، وتتصل به من طريق أحد كتبه . ومسائله الكثيرة ،

(١) رأجع كلمة الاستاذ احمد مجيد عيسى (للدراسة فى النجف) المنشور في مجلة البيان النجفية (س ٢ ـ ع ٣٣٠) وكلمة المرحوم الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء . فى الحلقة الثانية من سلسلة (أشعة عن حيات الامام الصادق (ع) التي كانت تصدر عن دار النشر والتأليف في النجف . لمنشئها الشيخ عبد الرضا كاشف الغطاء .

بحيث أصبح كل كتاب منه . علماً مستقلا عن غيره . في موضوعه وغرضه . فعلم الاصول أو قواعد التشريع ، أصبح جزءاً لا ينفك عن علم الفقه يسير معه . حيث سار . وعلم الرجال بحث عن رجال الروايات وسلسلة رواة الحديث الذي هو أحد المصادر للفقيه فى فتواه وحكمه . ومثله علم التفسير لآيات الأحكام . وعلم الحساب يحتاجه الفقيه لارتباطه بالارث . والقضاء . وغيرها . وعلم الهيئة والجغرافيا في القبلة وغيرها . وعلم التأريخ بمسائل كثيرة كمعرفة الأراضي المفتوحة عنوة من غيرها . لترتيب ما اختص بها من أحكام ، ومثله علم الملل والنحل لترتيب الأحكام الخاصة بها . إلى غير هذه من العلوم والفنون التي يتوقف عليها علم الفقه أو يتصل ويرتبط بها إرتباطاً قريباً . أو بعيداً ، كعلم الاقتصاد والتشريح والهندسة والطب وغيرها من العلوم التي تزيد على الخمسين علماً !! .

في الزاوية (١٤)

ومع هذه السعة فى الفقة الجعفري ، وتقدمه وتطوره وأهميته في هذا العصر ، فانه لا يزال فى أماكن محصورة ، ولا تزال مواده مطمورة بين كتب ومجلدات ، لم يعتني بطبعاتها وتنسيقها . كما يناسب مضامينها ! . وهذا ما دفع بعض المصريين للتعبير عنها بالجواهر المكنونة ! نعم هو فى زاوية لم يبرز الى الناس لينظروه ، حتى أوهم أنه من مذاهب الباطنيه التي تحرم إظهاره وتمنع تعليمه إلا لأفراد مخصوصين ? أو كأنه يخشى السياسة التي اظطهدته أمس . وصاحبته حتى آخر طريق له ? ، ولكن ليس له أن يتكتم . لانه ليس من مذاهب الباطنية ، وليس له أن

يخشى السياسة اليوم . لأنها تقول بحرية الأديان والمذاهب . على أن السياسة والقوة معه في كثير من الأقطار والأماكن . ولهذا اندفع جماعة من كبار العلماء في الجامعة النجفية إلى القول بعدم مشروعية « التقية » فى هذا العصر .

(١٥) المصدر الاول

والتأريخ للفقه الاسلامى ، يشهد بأن فقه الجعفرية ـ أو فقه اهل البيت ـ ، هو المصدر الأول بعد القرآن لكثير من الخلفاء الراشدين . وجميع أرباب المذاهب الاسلامية اليوم . فهذا الخليفة عمر « رض » كم مرة قال بهذا المعنى : « لولا علي لهلك عمر » (وما من معضلة إلا ولها علي) وهذا مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعي ، وإبن حنبل . قد تلمذوا جميعهم على آل البيت وعلى تلامذتهم ومن فقههم أخذوا ، ومن بحر علومهم ارتشفوا ولا أريد أن أطيل الحديث ، وأدلي بشهادات القرآن الكريم ، وكلمات النبي (ص) ، وأقوال علماء الشرق وفقهاء الغرب . في حق آل البيت ، بالعلم والدين والتورع بما نقلوا عن رسول الله . والأخذ بما رووا والصدق بما حدثوا (لان آل البيت أدرى بالذي فيه) .

(١٦) زبدة المخاض

وزبدة المخاض أن فقه آل البيت ، أو فقه الجعفرية الذي امتاز بفتح باب الاجتهاد ، ومسايرته للعصر ، وموافقته للذوق ، وقربه للفطرة ، وأخذه عن أصح الاصول العلمية . بحسب أدلة الاسلام ،

واعتماد أرباب المذاهب الاسلامية عليه ـ ولهذا . وغيره كان ـ هو أحق المذاهب بالاتباع لمن يهمه تقريب المذاهب الاسلامية وتوحيدها . وحصرها في مذهب واحد .

وكان الأمل أن أمد هذا التذييل عن الفقه الجعفري ، لولا ضيق المجال . وخشية الملل ، ولعلي عدت إليه في حديث آخر ، وقد أفردنا فيه كتاباً مستقلا ـ لا يزال مخطوطاً ـ بعنوان « دراسات في الفقه الجعفري » في بيان تأريخه ومصادر تشريعه وتطوره ومقارنته مع بقيه المذاهب الاسلامية إلى غير ذلك . كما وضعنا كتاباً آخـــر في الفقه الجعفري ، مرتباً على حروف الهجاء ، بأسلوب حديث . وترتيب جميل واستدلال مختصر ، بعنوان (قاموس الفقه الجعفري) ليعرف العالم الاسلامي والعربي ، المدى البعيد الذي وصل اليه فقه آل البيت (ع) . الذي عارضته السياسة الغاشمة أمس ، وطاردته حتى أشرف على القضاء . لولا مشيئة الله باحياء دينه . وإظهار الحق وهاهو اليوم نراه في أجمل بزة. والمقدم بين مذاهب الفقه الاسلامي ، الذي دخل فيه اناس ، إدعوا الحفظ له والعلم به طمعاً في الشهرة أو المال !! وأعانتهم السياسة الظالمه في ذلك العصر وكان لهم ماكان ، ومن نتائجها مانراه اليوم من التشتت والتفرق بين المسلمين .

* * *

الفصل السادس

مراجع الجامعة النجفية

(١) المرجع الديني
(٢) قرآن ثاني
(٣) هيئة تنفيذية
(٤) حكومة دينية
(٥) أهمية المرجع
(٦) شروط المرجع
(٧) نهاية المطاف

(١) المرجع الديني

لكل شيء مرجع يركن اليه ، ويسند له . ويعتمد عليه عند الحاجة ، والضرورة . فاذا اختلف إثنان . فى كلمة لغوية ، رجعا إلى كتاب فى اللغة ، وذلك الكتاب يسمى بالمرجع اللغوي . وإذا تنازع تلميذان ، عن موقع مدينة من مدن العالم ، عادا إلى الخارطة ، وتلك هى المرجع الجغرافي ، وإذا اختلف عالمان فى مسئلة فقهية كلية . ، فخصا كتاب الله الكريم ، الذي هو المرجع الأكبر لعلماء المسلمين . وإذا تنازع مسلمان مقلدان ، فى حكم فرعي ديني ، قصدا الجامعة النجفية . لاستفتاء المجتهد المقلد ، والفقيه العادل — أو رجعا لأحد وكلائه ، والمبلغين عنه — وذلك هو المرجع الديني لعوام المسلمين . والجمهور الأعظم منهم ، فيما يتعلق بأمور الدين وأحكام الاسلام . يرجع العوام في ذلك إلى المجتهدين كما يرجع إلى أي ممتهن بمهنة ما . من أشغال الحياة أو متخصص بعلم من العلوم . وفن من الفنون . فيما تخصص به وامتهن فيه ولا يخفى ما في ذلك من الاثر والاهمية . من حيث التنظيم من جهة . ومن حيث وحدة التوجه . من جهة أخرى ، الى غير ذلك مما فى فلسفة التقليد من الأثار الدينية . والأجتماعية والسياسية ! .

(٢) قرار ه تالى

فجمهور الشيعة من المسلمين . وسوادهم يرجعون إلى اؤلئك المراجع المقلدين ، فيما أستشكلوا فيه.واختلفوا عليه ، كما يرجع العلماء والمجتهدون

إلى القرآن الكريم . فيما صعب عليهم وترددوا فيه . فالدين الاسلامى اليوم قائم على هاتين الدعامتين القويتين . والركنين العظيمين !! وما داما دام الاسلام خالداً إلى يوم يبعثون . وبهذا للحافظ ـ وما يأتي ـ صح التعبير عن الجامعة النجفية بالقرآن الثاني ، حيث أنها تضم أكثر علماء المسلمين ومراجعهم الكبار — بالنسبة إلى أي جامعة أخرى — الذين يحفظون القرآن الكريم . بقلوبهم . وأفعالهم وأقوالهم . وحيث أنها المركز الاعلى لشريعة القرآن والمقر الرئيسي لاحكامه ونظمه وقوانينه فيما يتعلق بحياتنا الاجتماعية . وما يتصل بالحياة بعد الموت ! . وحيث أنها تضم علوماً كثيرة فيها سعادة الدارين كما يضم القرآن الكريم من علوم الأولين والآخرين ! . وهذه ميزة . أختصت بها الجامعة النجفية ، دون غيرها من الجامعات الاسلامية ، حتى الأزهر فى مصر ، لأن أهم العلوم الاسلامية ،هو الفقه الاسلامي ، ومن الواضح أن جامعة الازهر ليست كالنجف في إنكبابها عليه والاهتمام به ، بسبب غلق باب الاجتهاد عند الازهر ، وفتحه فى جامعة النجف (١)

(١) يعلن اليوم جماعة من كبار العلماء في الازهر فى الكتب والصحف فى مصر ، فتح باب الاجتهاد . وضرورته الشديدة في هذا العصر ومن كتب ءن المراغي ـ شيخ الازهر سابقاً ـ قال : إنه أول من فتحه فى مصر . ، وقبل أول من فتحه الامام محمد عبده تلميذ الفيلسوف الاكبر (جمال الدين الافغاني) الذي تخرج على مراجع النجف . ومجتهديها الكبار ! .

(٣) هيئة تنفيذية

إذا كان لكل قانون هيئتان : هيئة تشريعية وهيئة تنفيذية ، فالهيئة التشريعية ، هو القرآن الكريم . والهيئة التنفيذية التي تطبقه . وتوضحه وتعمل عليه ، هو النبي (ص) وأصحابه الكرام . وأهل بيته . (ع)

وإذا كان هؤلاء الهيئة التنفيذية لقانون الاسلام أمس ، فيحق لوكلائهم وممثليهم السائرين على خطتهم أن يكونوا الهيئة التنفيذية لقانون الاسلام اليوم .

وهؤلاء الوكلاء اليوم . هم المراجع المجتهدون فى هذه « الجامعة النجفية » الذين هم بمنزلة حكومة دينية مستقلة ، لها انظمتها . وقوانينها الخاصة ، ولها ما لكل حكومة : من السطوة . والمال والوكلاء . والعمال والموظفين المنتشرين فى انحاء العالم ، ولها من سواد الشعب وأمة عظيمة من الامم الراقية ، تبلغ المائة مليون نسمة منتشرين في جميع أنحاء العالم الاسلامي في الشرق والغرب !

(٤) حكومة دينية

هذه الحكومة الروحية « أو حكومة القرآن » هى أشبه بالخلافة الاسلامية الغابرة ، التي حفظت الاسلام الظاهري من الخلل . والتفرق أمس . وأكسبته القوة والانتشار . ولعل لهـذا السبب يرجع حيوية الشيعة الامامية . وانتشارهم وكثرتهم يوماً بعد يوم ، فى حين أن القوة . والسياسة الظالمة ، ضدهم فى جميع الادوار السالفة والعصور

المتقدمة .

هذه الحكومة الدينية « أو حكومة محمد ص » التي كان يتقلد رآستها أمس . ويلبس تاجها . وعمتها العربية ويرتدي جبتها الدينية هي اليوم بين أيدي اؤلئك المراجع المجتهدين ، وهم الذين يقوونها ، ويديرونها . لانهم يعرفون من كان يجلس على ذلك الكرسي الجليل ، والمنصب الديني العظيم ! . لذلك تراهم يسلكون جميع وسائل الاحتياط وأسباب التورع ليؤدوا حق ذلك الكرسي الالهي وواجب ذلك المنصب المقدس !! .

(٥) اهمية المرجع

المرجع الديني . هو ممثل النبي (ص) . ووكيل الامام المعصوم . ووصيه . وسفيره الى المسلمين فى الاجيال اللاحقة . والعصور المتأخرة عنه ! . تلك الوصاية والوكالة ، يظهرها علي عليه السلام . ويذيعها على المسلمين . بقوله : « من كان منكم مطيعاً لمولاه مخالفا لهواه . فعلى العوام أن يقلدوه » . وجاء بعده الامام الصادق عليه السلام ، فأوضحها وأكدها بقوله : « إنظروا الى من كان منكم . قد روى حديثنا . ونظر فى حلالنا وحرامنا . وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فاني قد جعلته عليكم حاكما . فإذا حكم بحكمنا . ولم يقبل منه فانما بحكم الله استخف وعلينا رد والراد علينا راد على الله . وهو على حد الشرك با لله » ، وهذا شيء قليل من تلك الروايات الكثيرة !! التي تعلن فيها الوكالة . والوصاية . في الافتاء فى أحكام الله ،وقانون الاسلام ، للعلماء والمجتهدين . كما دلت هذه الروايات على وجوب إتباعهم . وتقليدهم . فيما قالوا . وحكموا به ، وكما أنها

بينت بعضاً من قيود المرجع المقلد . وشروط الفقيه الديني .

(٦) شروط المرجع

يشترط فى المرجع أمور كثيرة منها الذكورة ، والبصر والحياة والعدالة والاجتهاد . (١) وهاتان المادتان الاخيرتان . ، هما من أهم ما فى قانون الاسلام للائمة التقليد والفتوى . وقد يحسب البعض سهولة تناولها ، ولكن يزول ذلك الحسبان ، عندما يطلع على ما كتبه الفقهاء ، وذكرته الروايات ، في شرح هاتين المادتين ، والمقصود منها !! يزول ذلك الوهم ، عندما يعرف حقيقة الاجتهاد ، الذي هو قوة الاستنباط (٢) وهى لا تحصل الا باطلاع واسع على كتب الاسلام ، وعلومه ! . وعندما يعرف حقيقة العدالة ، وهى ملكة نفسية ، وقوة إرادة ، تمنع صاحبها من ترك الواجب وفعل المحرم ، التي هى ـ فى الحقيقة ـ درجة ثانية من العصمة !! التي يتصف بها الأنبياء والمرسلون ، والائمة المعصومون (ع)

(١) راجع كتاب (ذكرى الشيعة) لجدنا الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي ، فانه ذكر فى مقدمته : ثلاثة عشر شرطاً للفقيه .

(٢) أدلة الاستنباط ، وإصول التشريع ، عند مراجع الشيعة ، أربعة : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والعقل . . وغير هذه من القواعد الفقهيه التي تذكر فى كتب الفقه . والاصول اللفظية والعملية التي تذكر فى كتب الاصول ، ترجع جميعها الى هذه (الادلة الاربعة) حتى الاصول الاربعه المعروفة في علم الاصول من البراءة ، والاشتغال ، والتخيير والاحتياط التي كثيراً ما يرجع إليها المستنبطون والمجتهدون ، فيما لم يصرح له بحكم فى الكتاب والسنة .

(٧) نهاية المطاف

وزبدة المخاض ، أن اؤلئك المراجع ، وتلك الحكومة الروحية ، والهيئة التنفيذية ، ووكلاء النبي (ص) ، ونواب الأمام (ع) !!! الذين أتخذوا « الجامعة النجفية » مقراً لهم ، وعاصمة حكومتهم تحت ظل قبة المرجع الاول . علي أمير المؤمنين (ع) . ليكون نبراساً لهم في العلم ، والقضاء ، والسياسة ، والدين . اؤلئك المراجع ، هم الذين يجب على المسلمين إتباعهم . وتقليدهم ، في ما تخصصوا فيه . ومراجعتهم فيما استشكل به من أمور الدين . وأحكام الاسلام . كما أمرنا الله تعالى بذلك حيث قال : « واسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . وبحكم الفطرة والطبيعة أيضاً ، من ضرورة مراجعة الجاهل للعالم ، والمتعلم للمتخصص .

وحيث أن القرآن الكريم فيه المجمل . والمبين والناسخ والمنسوخ والعام والخاص . لا يسهل الرجوع إليه لكل أحـــد ، كما قال تعالى : « ولا يعرف تأويله إلا الله والراسخون في العلم » . وحيث أن شريعة الاسلام الطبيعية السمحة ، تساير الزمان . وتصلح لكل عصر . وجب تقليد المجتهد الحي . والفقيه العادل – وهو ما تقول به الشيعة الجعفرية – فالمسلمون يرجعون إلى اؤلئك العلماء . كما يرجع العلماء إلى القرآن الكريم . فالقرآن الكريم – كتاب الله الصامت – هو المرجع – الاول – للعلماء المجتهدين . والعلماء المجتهدون – كتاب الله الناطق – هم المرجع – الثاني – للعوام . والمقلدين من المسلمين .

« وبعد » فإن « النجف الاشرف » التي حظيت بهؤلاء « المراجع » ، لجديرة بأن تكون سيدة البلاد الاسلامية . ومشعلها المتوهج ! الذي يستنير به المسلمون : في حل مشكلاتهم النفسية . والروحية والاجتماعية أيضاً . وخاصة في مثل هذا اليوم العصيب ! الذي اصبح فيه المسلمون في مشاكل عويصة . ومصائب كثيرة !! .

ولا يحـــل تلك المشاكل . ويرد تلك البلايا . الا التوجه لله تعالى . والرجوع الى ماضي الاسلام . وحالته الاولى : من الايمان الراسخ . وتعزيز الروح الاسلامية . والتمسك بالقرآن والعمل عليه ، وتوحيد الكلمة وجمع الشمل . ليسترجعوا بذلك . قوتهم الغابرة . وعهدهم السالف : الذي يسوده الهـــدوء والطمأنينة ، وتدعمه القوة . والسطوة ، وتجلله العزة والكرامة والروعة والهيبة !!

والنجف الاشرف ، ومراجعها الكبار في قدرة من أن يسدوا ذلك الخلل . ويتدار كوا ذلك النقص ، ويستفيد منهم المسلمون في شرق الأرض وغربها ، فيما يتعلق بالحياة والدنيا ، او الدين والحياة بعد الموت .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

❁ ❁ ❁

الفصل السابع

قدسية الجامعة النجفية

(١) كعبة ثانية

(٢) مرقد شريف

(٣) صلاة وابتهال

(٤) أنبياء وأئمة

(٥) أخبار وروايات

(٦) خاتمة المطاف

(١) كعبة ثانية

إذا قيل عن الجامعة النجفية. أنها إحدى القبلتين . وثاني الكعبتين فليس ذلك من جهة حج المسلمين إليها ندباً . كما يحجون إلى الكعبة وجوباً ، ولا من جهة وفود الطلاب لطلب العلم الواجب فيها . بمثـل وفود المسلمين لاداء الطاعة الواجبة في مكة المكرمة ، ولا من جهة شـرف تربتها ، وقداسة أرضها . كشرف وقداسة أرض مكة النقية الطاهرة !! . ليس لشيىء من هذا . كانت النجف إحدى القبلتين وثاني الكعبتين ، وإنما كانت كذلك . لـكل هذا وغير هذا . وكان لـكل هـذا . وذاك دخل قوي . وسبب مباشر . وعامل محسوس في تكوين الجامعة النجفية . وتوجيهها ونقشها بهذا الشكل الموجود اليوم . فانك لا تجد طالباً ، دخل الجامعة النجفية ، وانضم لسلسلة طلابها الروحيين ، إلا وتراه. قد لاحظ في نفسه . تلك الجهات الدينية . من جمله مالاحظ . وإليها أرجع عوامل مغادرته بلاده . وأهله ووطنه . وسبب هجرته الى هـذه الجامعة النجفية : جامعة القدس والدين ، ومدينة العلم والفضيلة . ومهبط الأنبياء والمرسلين . ومقر الائمة المعصومين (ع) أمس ومركز الزهاد والقديسين . ومجمع العلماء الروحيين اليوم !! .

(٢) مرقد شريف

ويتجلى جانب من قدسية النجف ، وروحية جامعتها العظمى ـ من بعض ما يتجلى ـ فى وجوه اؤلئك الزائرين . والقاصدين لمرقـــد

« مؤسسها الاول » علي بن ابي طالب (ع) ، وهم يطوفون حوالي قبره بالتهليل . والتكبير . والدعاء والابتهال والخضوع والخشوع : إلى الله تعالى ! ؛ وعلى شفاههم حسرات تتكسر ، وآهات تتقطع ، وفى أجفانهم دموع حرى . هي دموع الخشية والاعتراف وتلك حسرات التوبة والاستغفار ، مما قضاه هذا الانسان المتجبر والمخلوق الضعيف الفاني . في مخبىء العقوق والعصيان وزاوية الخذلان والتقصير . فى جانب الخالق المحسن والآله الرب المعبود !! . نعم ان مرقــد مؤسس هذه الجامعة . وعظمته بأثاثة ونفائسه !! وتحفه (١) ومظهر زواره ، وطلاب النجف ومجالسها الروحية وعاداتها الجميلة (٢) أيضا . كل ذلك يذكر

---

(١) إن التحف والنفائس الموجودة في خزينة علي عاية السلام لا توجد عند ملوك العالم . ولا تقدر بثمن ولا تقابل بمال !! ، وكان منها . ما جلبه إليها (نادر شاه) من الهند عند فتحه لهـا . تلك التحف العظيمة !! التي يقول عنها السيد جمال الدين الافغاني في (العروة الوثقى) إن الانكليز لا زال يذكرونها بشيىء كثير مع التأسف لان سبقهم إليها نادر شاه بسنين قبل استيلائهم على الهند .

(٢) لفضيلة الاخ الشيخ محمد حسين شمس الدين . وصف جميل لهذه المجالس وعرض دقيق لتلك العادات فى مقال متسلسل تحت عنوان (رسائل الى أخي) أشار فيها الى نقط مهمة تتعلق فى النجف جديرة بالدرس والاهتمام ، وقد كتبها بمحضر من سماحة الامام الكبير العم الشيخ حسن شمس الدين . وسيادة العلامة المجتهد والدي الشيخ زين العابدين شمس الدين ، والمقال المتسلسل منشور في (م ٣٩ و ٤٠) من مجلة العرفان الغراء وسيطبع مستقلا بعنوان (صفحات بين العراق ولبنان) .

الانسان بعالم السماء ودنيا الآخرة . وحياة الملائكة . ويعرف الانسان ربه . وذنبه فيدخل إليه في عالم مادي . ويخرج منه فى عالم آخر روحي فيه راحة الضمير . وطهارة النفس وبرودة اليقين ، ولذة الأيمان !!

صلاة وابتهال (٣)

ويتجلى جانب آخر من تلك القدسية ، عندما يتقدم اؤلئك المراجع العظام . وتنتظم خلفهم الصفوف والجماعات ، فثمة ترى دبيباً خفياً يسري بدمك وعروقك وإحساساً لذيذاً يلج قلبك ، ويستولي على شعورك . على غير رضى واختيار !! إنه دبيب الرحمة وإحساس الدين وصوت الروح وسحر الايمان . ولذة الطاعة . وشفقة الرب الرحيم . وهداية الاله الغفور وثمة ترى أيضاً ـ من معاني الحياة الجديدة ـ الاشتراكية المثلى . والسواسية الصحيحة . والانسانية الصادقة والمثالية الطيبة التي هي حاجة الروح المعذبة وضالة النفس المريضة . وهدف المجتمع المثالي الصحيح !. وهذه دروس يتلقاها العابد . والزائر والطالب على حد سواء ، من جملة ما يتلقاه « في هـذه الجامعة المقدسة » من دروس الدين . وعلوم النفس ، التي هي الغاية القصوى . والهدف الأخير من دراسة تلك العلوم وتعلمها في هـذه الجامعة العظمى . اما السبب فى هذه القدسية . وتأثير تلك القوة الروحية ، فيرجع إلى ماضي مسكن النجف . وسالف تربة جامعتها المقدسة التي اشترك . فى وضع أسسها الروحية . الأنبياء والمرسلون ، من قبل ، وشيد دعائمها العلمية الأئمـة المعصومون وحفظ أركانها . وهيئاتها . العلماء والمجتهدون ، بين الامس واليوم .

(٤) أنبياء وأئمة

ولو نظرنا للتأريخ القديم ، الى حياة الأنبياء والمرسلين ، لوجدنا بين صفحاته حظاً وافراً . وصلة قوية لجامعة النجف بحياة أؤلئك الأنبياء المقربين التي تشرفت الجامعة بتلك الصلة . والقرابة : بالمجاورة والسكنى . فهذا أبو البشر آدم (ع) . رممت عظامه فى أرض هـــذه الجامعة . وهـــذا نوح (ع) صاحب السفينة الكبرى !! الذي قذفته المياه . من نهرالفرات على قرب من النجف . وهذا أبو الاديان إبراهيم الخليل (ع) الذي إبتاع أرضها منذ الآف السنين . ولو رجعنا للتأريخ بعد الاسلام ، في فصل حياة الائمة من آل بيت النبي (ع) ، لوجدنا فيه . ما وجدناه قبل في حياة الانبياء والمرسلين . من العلاقة بأرض هذه الجامعة المقدسة ، و كتب السير مشحونة بهذا . وذاك (١)

(٥) أخبار وروايات

ولو نظرنا ـ نظرة سريعة ـ لكتب الاخبار النبوية ، وأحاديث آل البيت (ع) ، لوجدنا فيها مجموعة ضخمة . وعدداً غير قليل من الروايات فى فضل ـ هذة الجامعه ـ التي وطأ تربتها الانبياء والمعصومون ـ عليهم السلام ـ . تلك الروايات أمثال ترجيح التختم بحصى النجف . ومضاعفة الثواب في الصلوة فيها . ، إلى تحبيذ مجاورتها . وسكناها ومدحها .

---

(١) راجع ماضي النجف ، تأريخ الكوفه ، فرحة الغري مشهد الامام . أو (مدينة النجف) للاستاذ الكبير محمد علي التميمي.

والثناء عليها أيضاً . ومن تلك المجموعة الجليلةقول النبي (ص) (الكوفة جمجمة العرب ورمح الله وكنز الايمان » ، وقول علي (ع) : «مكة حرم الله . والمدينة حرم رسول الله . والكوفة حرمي » ، وقوله أيضاً : « هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا » . ، وزاد على هـذا المعنى منطق الامام الحسن بن علي (ع) حيث قال : « لموضع الرجل في الكوفة ، أحب إلي من دار بالمـدينة » ، وقال علي (ع) : « ليأتين على الكوفة زمان.ما من مؤمن أو مؤمنة ، الابها أو قلبه يحن إليها » . (١)

(٦) خاتمة المطاف

ولعـل جميع تلك الاخبار الواردة - في هذه الجامعة - هي تنبؤ . وتلويح وإخبار ، عن مستقبل هذه المدينة المشرفة . وتأييد ما جاء فيها . وما قيل عنها في الكتب ، من صيرورتها المقر الاعلى للحكومة الروحية المقبلة ، ومعسكر الجيش الباسل . للأمبراطورية الدينية الآتية (٢)

وهذهالحكومة القادمة.هي التي ينتظرها العرب وأقر،بها الاسلام (٣) وأعترفت بجوهر فكرتها الاديان السماوية الكبرى ، وتنبأه قسم من علماء الغرب ، وتكهنه بعض المستشرقين ، من ظهور قائد عربي كبير في جزيرة العرب !! .

(١) المصادر السابقة .

(٢) راجع فصل (ملاحم آخر الزمان في الكوفة) من تأريخ الكوفة « ص ٧٠ »

(٣) عقيدة الامام المهدي (ع) لا تخص الشيعة من المسلمين بل —

يقول الاستاذ الزيات « في افتتاحية عدد من مجلته الرسالة »
« ولهذا الرجل . ؟ الذي تنتظره الأمة العربية . آيات تمهد له وتدل عليه
فمن الآيات المهيئة لظهوره . إنحلال الاخلاق فلاتتماسك فى قول ولا فعل
وتقاطع القلوب فلا تتواصل فى وطن ولا دين ، واستئثار النفوس فلا
تتعفف فى صداقة ولا نسب، وجموح الشهوات فلا تتقدع بلين ولاشدة
واستبهام المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس .(١) »

والذي عليه عقيدة فرقة كبرى من المسلمين ـ تبلغ المائة مليوناً من
النفوس !! ـ ، وجائت فيه الروايات الكثيرة عن النبي (ص) ، ووردت
أخبار صحيحة عن آل بيته ـ كما تقدم ـ ، أنه الامام الثاني عشر من
أئمة آل البيت (ع) ، الذي يترأس تلك الحكومة العادلة ويقود ذلك الجيش
الباسل . الذي سيجعل النجف معسكر جنده . ومخفر قواده . ومركز
حكومته الدينية ـ الآتية ـ ، وعاصمة امبراطوريته القرآنية ـ المقبلة ـ .

فرغ منه ١٢ ـ ٣٧٢ فى مدرسة البخارى العلمية.

النجف الاشرف ـ العراق ـ محمد رضا آل شمس الدين

***

— تعترف كتب السنة بها ، وتروي لها روايات كثيرة . فهذا إبن
خلدون ذكر فى « المقدمة » ـ ٣٣ ـ حديثاً فى الامام المهدي (ع) .

(١) راجع كلمته في مجلة « الرسالة » س ١٠ ـ ع ٤٦٠ ـ تحت
عنوان « الرجل المنتظر . . »

فهرس الكتاب

الكتاب	المؤلف
لمحة عن تأريخ الازهر	علي الوافي
مجلة البيان النجفية	علي الخاقاني
مجلة لغة العرب البغدادية	الأب الكرملي
الامام ابو الحسن	احد الفضلاء
الامام المراغي	انور الجندي
مجلة الغري النجفية	شيخ العراقين
وحي الرافدين	الحوماني
ذكرى الشيعة	جدنا الشهيد الاول

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
علمائنا	علماؤنا	٣	٨
يا رسول الله قال	قال يا رسول الله	٤	١٥
الكمياء	الكيمياء	٦	٣
نضرية	نظرية	١٧	٦
الزيات	زكي مبارك	١٧	١٠
الوصفي	المرصفي	١٧	١٧
تظم	تضم	٣٧	١٧
تسطعه	تستطعه	٣٨	٩
حيات	حياة	٨٣	١٩
يحضى	يحظى	٤٨	١٠
وأمة	أمة	٨٠	١١

